الفتوى الحموية الكبرى

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الإسلام العالم الربانى تقى الدين احمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام رحمه الله تعالا وذلك فى سنة ثمان وتسعين وستمائة هـ وجرى بسبب هذا الجواب أمور ومحن [1] وهو جواب عظيم النفع [2] جداً فقال السائل :

ما قول السادة الفقهاء أئمة الدين فى آيات الصفات كقوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) وقوله (ثم استوى على العرش) وقوله (ثم استوى إلى السماء وهى دخان) إلى غير ذلك من الآيات ، وأحاديث الصفات كقوله صلى الله عليه وسلم « ان قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن » وقوله « يضع الجبار قدمه فى النار » إلى غير ذلك وما قالت العلماء فيه وأبسطوا [3] القول فى ذلك مأجورين إن شاء الله تعالى فأجاب :

الحمد لله رب العالمين ، قولنا فيها ما قال الله ورسول صلى الله عليه وسلم والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودراياتهم ، وهـذا الواجب على جميع الخلق فى هذا الباب وغيره ، فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ، وشهد له بأنه بعثه داعياً إليه باذنه وسراجا منيراً وأمره أن يقول (هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) .

فمن المحال فى العقل والدين أن يكون السراج المنير الذى أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه

---

(١) يشير إلى قيام العلماء الجامدين والمتعصبين على الشيخ كما هو مشهور فى ترجمته رحمه الله ورضى عنه (٢) فى نسخة : نافع (٣) ن : وليبسطوا .

وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة . وقد أخبر الله بأنه أكمل له ولأمته دينهم وأتم عليهم نعمته — محال مع هذا أو غيره أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبساً مشتبهاً ولم يميز بين ما يجب الله من الأسماء الحسنى والصفات العليا وما يجوز عليه وما يمتنع عليه فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية ، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول فكيف يكون ذلك الكتاب ، وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقاداً وقولا ؟

ومن المحال أيضاً أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد علم أمته كل شيء حتى الخراءة[1] وقال : « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك » [2] وقال فيما صح عنه أيضاً « ما بعث الله من نبي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه و ينهاهم عن شر ما يعلمه لهم » وقال أبو ذر لقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحه فى السماء إلا ذكر لنا منه علما ، وقال عمر بن الخطاب : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه ، رواه البخارى .

ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة فى الدين وإن دقت أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم و يعتقدونه فى قلوبهم [3] فى ربهم ومعبودهم رب العالمين الذى معرفته غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد والوصول إليه غاية المطالب بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية فكيف يتوهم من فى قلبه أدنى مسكة

---

(١) الخراءة بكسر الخاء : أدب التخلى ، والكلام إشارة إلى حديث سلمان عند مسلم وأحمد ـ قال بعض المشركين وهو يستهزىء : إنى لأرى صاحبكم يعلمكم كل شيء حتى الخراءة قال : أجل الخ (٢) أخرجه ابن ماجه (٣) ن : بألسنتهم وقلوبهم .

من إيمان وحكمه أن لايكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام ثم إذا كان قد وقع ذلك منه فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونهاقصروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه .

ثم من المحال أيضاً أن تكون القرون الفاضلة ـ القرن الذى بعث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ـ كانوا غير عالمين وغير قائلين فى هذا الباب بالحق المبين لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول ، وإما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق وكلاهما ممتنع (أما الأول) فلان من فى قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نهمة فى العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه ـ أعنى بيان ماينبغى اعتقاده لا معرفة كيفية الرب وصفاته ـ وليست النفوس الصحيحة إلى شىء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية فكيف يتصورمع قيام هذا المقتضى الذى هو من أقوى المقتضيات أن يتخلف عنه مقتضاه فى أولئك السادة فى مجموع عصورهم ، هذا لا يكاد يقع فى أبلد الخلق . وأشدهم اعراضاً عن الله وأعظمهم انكباباً (١) على طلب الدنيا والغفلة عن ذكر الله فكيف يقع فى أولئك ، وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائله (٢) فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم .

ثم الكلام فى هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن سطره فى هذه الفتوى وأضعافها ، يعرف ذلك من طلبه وتتبعه ولا يجوز أيضا أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما قد يقول بعض الأغبياء ممن لا يعرف قدر السلف ، بل ولا عرف الله ورسوله ، والمؤمنين به حقيقة المعرفه المأمور بها : من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم ـ وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء قد يعنى بها معنى صحيحاً ـ فإن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف إنما أتوا من حيث ظنوا أن

(١) ن : اكبابا (٢) ن : قائليه .

طريقة السلف هى مجرد الايمان بالفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى) وان طريقة الخلف هى استخراج معانى النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات [1] وغرائب اللغات فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالات التى مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر . وقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا فى تصويب طريقة الخلف ، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف فى الكذب عليهم وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف ، وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس فى نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التى شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين فلما اعتقدوا انتفاء الصفات فى نفس الأمر وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى بقوا مترددين بين الايمان باللفظ وتفويض المعنى — وهى التى سموها طريقة السلف — وبين صرف اللفظ إلى معانى بنوع (من) التكلف — وهى التى يسمونها طريقة الخلف — فصار هذا الباطل مركبا من فساد العقل والكفر بالسمع فان النفى إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهى شبهات و السمع حرفوا فيه الكلام عن مواضعه ، فلما انبنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين الكاذبتين كانت النتيجة استجهال السابقين الأولين واستبلاههم واعتقاد أنهم كانوا قوما أميين بمنزلة الصالحين من العامة لم يتبحروا فى حقائق العلم بالله ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهى وإن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق فى هذا كله .

ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده فى غاية الجهالة ، بل فى غاية الضلالة كيف يكون هؤلاء المتأخرون — لاسيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر فى باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم ، وأخبر الواقف [2] على نهاية إقدامهم بما انتهى إليه أمرهم .

---

(١) ن : المجازفات .

(٢) هو الشهرستانى كما ذكره الشيخ فى العقل والنقل ص ٩٨

لعمرى لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر إلى واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم

وأقروا على أنفسهم بما قالوا متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم كقول بعض رؤسائهم (١) :

نهاية أقدام العقول عقال وأكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا فى وحشة من جسومنا غاية دنانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفى عليلا ولا تروى غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ فى الاثبات (الرحمن على العرش استوى ـ إليه يصعد الكلم الطيب) وأقرأ فى النفى (ليس كمثله شىء . ولا يحيطون به علماً) ومن جرب مثل تجربتى عرف مثل معرفتى ، و بقول الآخر (٢) منهم : لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الاسلام ، وعلومهم وخضت فى الذى نهونى عنه ، والآن أن لم يتداركنى ربى برحمته فالويل لفلان وها أنا أموت على عقيدة أمى . ويقول الآخر منهم . أكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام . ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خير ولا وقعوا (٣) من ذلك على عين ولا أثر ـ كيف يكون هؤلاء المحجوبون المفضولون (٤) المسبوقون الحيارى المنهوكون أعلم بالله وأسمائه وصفاته وأحكم فى باب ذاته وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة .

---

(١) هو الرازى فى كتابه أقسام اللذات الذى صنفه فى آخر عمره وهو كتاب مفيد قاله الشيخ ابن القيم فى اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٢١ طبعة مصر .
(٢) هو أبو المعالى الجوينى الملقب بإمام الحرمين كما ذكره الشيخ فى التسعينية ص ٢٥١
(٣) ن : ولم يقفوا (٤) ن المنقوصون ن : المنقصون .

الأنبياء وخلفاء الرسل واعلام الهدى ومصابيح الدجى ، الذين بهم قام الكتاب
و به قاموا و بهم نطق الكتاب و به نطقوا ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا
به على سائر اتباع الأنبياء فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم ، واحاطوا من حقائق
المعارف و بواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم اليها لاستحيا من يطلب المقابلة

ثم كيف يكون خير قرون الأمة انقص فى العلم والحكمة ـ لا سيما العلم بالله
واحكام اسمائه وآياته ـ من هؤلاء الأصاغر بالنسبة اليهم ؟ أم كيف يكون أفراخ
المتفلسفة واتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى
والصابئين وأشكالهم وأشباههم اعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان

و إنما قدمت هذه المقدمة لأن من استقرت هذه المقدمة عنده عرف طريق
الهدى اين هو فى هذا الباب وغيره وعلم أن الضلال والتهوك إنما استولى على كثير من
المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم وأعراضهم عما بعث الله به محمدا صلى الله
عليه وسلم من البينات والهدى ، وتركهم البحث عن طريقة السابقين والتابعين ،
والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله باقراره على نفسه ، و بشهادة الأمة على
ذلك ، و بدلالات كثيرة وليس غرضى واحد معينا وانما أصف نوع هؤلاء و إذا
كان كذلك فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره ، وسنة رسوله صلى الله عليه
وسلم من أولها إلى آخرها ، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ، ثم كلام سائر الأئمة
مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر فى أن الله سبحانه وتعالى هو العلى الأعلى ،
هو فوق كل شيء وهو عال على كل شيء ، وأنه فوق العرش ، وأنه فوق
السماء مثل قوله تعالى ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ـ
إنى متوفيك ورافعك إلى ـ أءمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض ـ
أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا ـ بل رفعه الله إليه ـ
تعرج الملائكة والروح إليه ـ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم
يعرج إليه ـ يخافون ربهم من فوقهم ـ ثم استوى على العرش ﴾ فى سبعة

مواضع ﴿الرحمن عن العرش استوى ـ ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فاطلـــع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذبا ـ تنزيل من حكيم حميد ـ منزل من ربك﴾ إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بالـكلفة ، وفى الأحاديث الصحاح والحسان مالا يحصى إلا بالـكلفة مثل قصة معراج الرسول إلى ربه ، ونزول الملائـكة من عند الله وصعودها اليه وقوله فى الملائـكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار «فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم فيسألهم وهو اعلم بهم » وفى الصحيح فى حديث الخوارج « ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء يأتينى خبر السماء صباحاً ومساء » وفى حديث الرقية الذى رواه أبو داود وغيره «ربنا الله الذى فى السماء ،تقدس اسمك، أمرك فى السماء والأرض ، كما رحمتك فى السماء أجعل رحمتك فى الأرض أغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين انزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع » قال صلى الله عليه وسلم ، إذا اشتكى أحد منكم أو اشتكى أخ له فليقل ربنا الله الذى فى السماء ، وذكره وقوله فى حديث الأوعال « والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه » رواه أحمد وأبو داود وغيرهما وقوله فى الحديث الصحيح [1] للجارية «أين الله » قالت فى السماء قال « من أنا » قالت أنت رسول الله قال « اعتقها فانها مؤمنة » وقوله فى الحديث الصحيح « أن الله لما خلق الخلق كتب فى كتاب موضوع عنده فوق العرش أن رحمتى سبقت غضبى» وقوله فى حديث قبض الروح « حتى يعرج به إلى السماء التى فيها الله » وقول عبد الله بن رواحة الذى أنشده للنبى صلى الله عليه وسلم وأقره عليه :

شهدت بأن وعد الله حق	وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف	وفوق العرش رب العالمينا

---

(١) يعنى صحيح مسلم

وقول أمية بن أبى الصلت الثقفى الذى أنشد للنبى صلى الله عليه وسلم هو وغيره من شعره فاستحسنه وقال : « آمن شعره وكفره قلبه »(١)

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا فى السماء أمسى كبيرا
بالبناء الأعلى الذى سبق النا س وسوى فوق السماء سريرا
شرجعا(٢) ما يناله بصر العـ ين ترى دونه الملائك صورا

وقوله فى الحديث الذى فى المسند(٣) « أن الله حى كريم يستحى من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا » وقوله فى الحديث « يمد يديه إلى السماء يقول يارب يارب(٤) إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله مما هو من ابلغ المتواترات اللفظية والمعنوية التى تورث علما يقينا من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول المبلغ عن الله القى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش وأنه فوق السماء كما فطر الله على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم فى الجاهلية والإسلام إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته ، ثم عن السلف فى ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئين أو ألوفا، ثم ليس فى كتاب الله ، ولا فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا عن واحد من سلف الأمة لا من الصحابة ولا من التابعين لهم باحسان ، ولا عن الأئمة الذين ادركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصا ولا ظاهرا ، ولم يقل أحد منهم قط أن الله ليس فى السماء ولا أنه ليس على العرش ، ولا انه بذاته فى كل مكان، ولا أن جميع الامكنة بالنسبة إليه سواء ، ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه، و (لا أنه) لا متصل ولا منفصل ، ولا أنه لا تجوز الاشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها ، بل قد ثبت فى الصحيح(٥) عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) فى أسنى المطالب : رواه الخطيب وهو ضعيف (٢) قوله سرجعاً أى طويلا (صورا) جميع اصور أى المائل العنق . (٣) ن : السنن (٤) فى الترغيب والترهيب : رواه مسلم والترمذى من حديث أبى هريرة — أى فى حديث طويل فى الترغيب فى أكل الحلال
(٥) يعنى صحيح مسلم .

لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات فى أعظم مجمع حضره الرسول صلى الله عليه وسلم جعل يقول « ألا هل بلغت » فيقولون نعم فيرفع أصبعه إلى [١] السماء وينكبها إليهم ويقول « اللهم أشهد » غير مرة وأمثال ذلك كثيرة .

فإن كان الحق فيما يقول هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة فى الكتاب والسنة من هذه العبارات ونحوها دون مايفهم من الكتاب والسنة إما نصاً و إما ظاهراً فكيف يجوز على الله ، ثم على رسوله ، ثم على اخير الأمة أنهم يتكلمون دائما بما هو نص أو ظاهر فى خلاف الحق ، ثم الحق الذى يجب اعتقاده لايبوحون به قط ، ولا يدلون عليه لا نصا ولا ظاهراً ، حتى يجيء انباط الفرس والروم ، وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصحيحة التى يجب على كل مكلف أو كل فاضل أن يعتقدها ائن كان [٢] مايقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الإعتقاد الواجب وهم مع ذلك احيلوا فى معرفته على مجرد عقولهم ، وأن يدفعوا بما اقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً ، لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير ، بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً فى أصل الدين .

فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء : أنكم يامعشر العباد لاتطلبوا معرفة الله عز وجل وما يستحقه من الصفات نفياً واثباتاً لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الأمة ، ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات فصفوه به ــ سواء كان موجودا فى الكتاب والسنة أو لم يكن ــ وما لم تجدوه مستحقا له فى عقولكم فلا تصفوه به .

ثم هم ههنا فريقان (أكثرهم) يقولون : ما لم تثبته عقولكم فانفوه (ومنهم) من يقول بل توقفوا فيه ــ وما نفاه قياس عقولكم الذى أنتم فيه مختلفون ومضطربون اختلافا أكثر من جميع على اختلاف على وجه الأرض فانفوه ، و إليه عند التنازع

---

(١) ن : نحو (٢) ن لأن كل ولا يظهر وجهها .

فارجعو فإنه الحق الذى تعبدتم به، وما كان مذكوراً فى الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا ويثبت ما لم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم فاعلموا أنى امتحنكم لا لتعملوا بتنزيله ، ولا لتأخذوا الهدى منه ، لكن لتجتهدوا فى تخريجه على شواذ اللغة ووحشى الألفاظ وغرائب الكلام وأن(١) تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله(٢) مع نفى دلالته على شىء من الصفات . هذا حقيقة الأمر على رأى هؤلاء المتكلمين . وهذا الكلام قد رأيته صرح بمعناه طائفة منهم ، وهو لازم لجماعتهم لزوما لا محيد عنه ومضمونه أن كتاب الله لا يهتدى به فى معرفة الله ، وأن الرسول معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله ، وأن الناس عند التنازع لا يردون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول بل إلى مثل ما كانوا عليه فى الجاهلية وإلى مثل ما يتحاكم إليه من لا يؤمن بالأنبياء كالبراهمة (٣) والفلاسفة وهم المشركون والمجوس (٤) وبعض الصابئين (٥) وإن كان هذا الرد لا يزيد الأمر إلا شدة ولا يرتفع الخلاف به ، وإذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا اليهم ، وقد أمروا أن يكفروا بهم ، وما أشبه حال هؤلاء المتكلمين بقوله (٦) سبحانه وتعالى « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا * و إذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله و إلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا * فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقا » فإن هؤلاء إذا دعوا إلى ما أنزل الله من الكتاب و إلى الرسول ــ والدعاء اليه بعد وفاته هو

---

(١) ن : أو ان (٢) ن : باسقاط لفظ الجلالة وتشديد الياء من إلى .

(٣) كهان الهند الوثنيين (٤) عباد النار من الفرس .

(٥) الصابئون عباد الكواكب من الروم والهند ونحوهم .

(٦) أى بحال من ذكرهم فى قوله الخ .

الدعاء إلى سنته ـ أعرضوا عن ذلك وهم يقولون : انا قصدنا الإحسان علماً وعملا بهذا الطريق الذى سلكناه والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية .

ثم عامة هذه الشبهات التى يسمونها دلائل إنما تقلدوا أكثرها عن طاغوت من طواغيت المشركين أو الصابئين أو بعض ورثتهم الذين أمروا أن يكفروا بهم مثل فلان وفلان أو عمن قال كقولهم لتشابه قلوبهم قال الله تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ـ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف » الآية ـ ولازم هذه المقالة أن لا يكون الكتاب هدى للناس ولا بياناً ولا شفاء لما فى الصدور ، ولا نوراً ولا مرداً عند التنازع لانا نعلم بالاضطرار أن مايقوله[1] هؤلاء المتكلفون : أنه الحق الذى يجب اعتقاده لم يدل عليه الكتاب والسنة لا نصاولا ظاهراً ، و إنما غاية المتحذلق أن يستنتج هذا من قوله (ولم يكن له كفوا أحد) ـ (هل تعلم له سمياً) وبالاضطرار يعلم كل عاقل أن من دل الخلق على أن الله ليس على العرش ، ولا فوق السموات ونحو ذلك بقوله (هل تعلم له سمياً) لقد ابعد النجعة وهو إما ملغز واما مدلس لم يخاطبهم بلسان عربى مبين ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيراً لهم فى أصل دينهم لأن مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد و إنما الرساله[2] زادتهم عمى وضلالة .

ياسبحان الله كيف لم يقل الرسول يوما من الدهر ولا أحد من سلف الأمة هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه ولكن اعتقدوا الذى تقتضيه مقاييسكم[3] واعتقدوا كذا وكذا فإنه الحق وما خالفه ظاهره فلا تعتقدوا

---

(١) ن : يقول . (٢) ن : الرسل . (٣) ن : أو

ظاهر وانظروا فيها فما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه ومالا يوافق (١) فتوقفوا فيه أو انفوه .

ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اخبر بأن أمتة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة (٢) فقد علم ما سيكون ثم قال « إنى تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله » وروى عنه أنه قال فى صفة الفرقة الناجية « هم من كانوا على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى » فهلا قال من تمسك بالقرآن أو بدلاله القرآن أو بمفهوم القرآن أو بظاهر القرآن فى باب الاعتقادات فهو ضال ، وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة فى هذه المقالة وأن كان قد نبغ أصلها فى أواخر عصر التابعين .

ثم أصل هذه المقالة — التعطيل للصفات — إنما هو مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة فى الإسلام — اعنى أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة وإنما استوى بمعنى إستولى ونحو ذلك — أول ما ظهرت هذه المقالة من جعد (٣) بن درهم وأخذها عنه الجهم بن (٤) صفوان وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية اليه وقد قيل أن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان وأخذها أبان من طالوت بن أخت لبيد بن

---

(١) ن : لا يوافقه . (٢) رواه أبو داود والترمذى وأحمد .

(٣) قال الذهبى فى الميزان فى ترجمة الجعد : عداده فى التابعين ضال مبتدع زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى فقتل على ذلك بالعراق والقصة مشهورة ا هـ وقال الحافظ ابن حجر فى لسان الميزان : وللجعد أخبار كثيرة فى الذندقة وساق وحدة منها فراجعه .

(٤) قال الذهبى : الجهم ابن صفوان أبو محرز السمر قندى الضال المبتدع رأس الجهمية هلك فى زمان صغار التابعين وما علمته روى شيئاً ولكنه زرع شرا عظيما ا هـ ميزان . وذكر الحافظ فى اللسان أن قتله كان سنة ٢٨ يعنى بعد المائة وذكر سببه وهو خروجه مع الحارث ابن شريح على أمراه خراسان وقبض نصر بن سيار عليه وقتله على الخروج .

الأعصم وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودى الساحر الذى سحر النبى صلى الله عليه وسلم .

وكان الجعد بن درهم هذا — فيما قيل — من أرض حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة — بقايا دين أهل نمرود والكنعانيين الذين صنف بعض [1] المتأخرين فى سحرهم — ونمرود هو ملك الصابئة الكلدانية [2] المشركين كما أن كسرى ملك الفرس والمجوس ، وفرعون ملك مصر [3] ، والنجاشى ملك الحبشة للنصارى فهذا اسم جنس لا اسم علم .

فكانت الصابئة — إلا قليلا منهم — إذ ذاك على الشرك ، وعلماؤهم هم الفلاسفة و إن كان الصابىء قد لا يكون مشركا بل مؤمنا بالله واليوم الآخر كما قال تعالى « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وقال « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » لكن كثيرا منهم أو أكثرهم كانوا كفارا أو مشركين كما أن كثيرا من اليهود والنصارى بدلوا وحرفوا وصاروا كفارا ومشركين ، فأولئك الصابئون الذين كانوا إذ ذاك كانوا كفارا أو مشركين وكانوا يعبدون الكواكب و يبنون لها الهياكل .

ومذهب النفاة من هؤلاء فى الرب أنه ليس له الا صفات سلبية أو اضافية أو مركبة منها وهم الذين بعث ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم اليهم فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة والفلاسفة ، وكذلك أبو نصر الفارابى [4] دخل حران وأخذ عن

---

(١) هو الرازى وكتابه اسمه السر المكتوم . (١) ن : الكلدانيين .

(٣) ن : القبط . (٤) محمد بن طرخان بن أوزلغ التركى الفيلسوف المشهور صاحب التصانيف فى المنطق والموسيقى وغيرها أكبر فلاسفة الاسلام تخرج ابن سينا بكتبه توفى بدمشق سنة ٣٣٩ ه ملخصا من ابن خلكان .

فلاسفة الصابئين تمام فلسفته ، وأخذها الجهم أيضاً — فيما ذكره الإمام أحمد وغيره — لما ناظر السمنية [١] بعض فلاسفه الهند — وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات — فهذه أسانيد جهم ترجع إلى اليهود والصابئين [٢] والمشركين ، والفلاسفة الضالون هم إما من الصابئين و إما من المشركين .

ثم لما عربت الكتب الرومية واليونانية فى حدود المائة الثانية زادالبلاءمع ما القى الشيطان فى قلوب الضلال ابتداء من جنس ما القاه فى قلوب أشباههم .

ولما كان فى حدود المائة الثالثة انتشرت هذه المقالة التى كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسى وطبقته وكلام الأئمةمثل مالك وسفيان بن عيينة وابن المبارك وأبى يوسف والشافعى وأحمد واسحاق والفضيل ابن عياض و بشر الحافى وغيرهم كثير فى ذمهم وتضليلهم .

وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدى الناس مثل أكثرالتأويلات التى ذكرها أبو بكر [٣] بن فورك فى كتاب التأويلات ، وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازى [٤] فى كتابه الذى سماه تأسيس التقديس و يوجد كثير منها فى كلام خلق كثير غير هؤلاء مثل أبى على الجبائى [٥] وعبد الجبارى بن أحمد الهمدانى [٦]

---

(١) هم بدا (البوذيون) قليلهم فى الهند وأكثر بالصين .   (٢) ن : النصارى

(٣) محمد بن الحسين بن فورك المتكلم الأصولى توفى سنة ٤٠٦ هـ .

(٤) المعروف بابن الخطيب الملقب فخر الدين توفى ٦٠٦ هـ .

(٥) محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن لى‌ران مولى عثمان بن عفان أحد أئمة المعتزلة شيخ أبى الحسن بالأشعرى توفى سنة ٣٠٣ هـ .

(٦) القاضى المتكلم : له تصانيف وكان من غلاة المعتزلة بعدالاربعمائة ا هـ ميزان الذهبى، تتوفى سنة ٤١٥ هـ كما فى لسان الميزان .

وأبى الحسين البصرى[١] وأبى الوفاء بن عقيل[٢] وأبى حامد الغزالى[٣] وغيرهم هى بعينها تأويلات بشر المريسى التى ذكرها فى كتابه وإن كان قد يوجد فى كلام بعض هؤلاء رد التأويل وإبطاله أيضا ولهم كلام حسن فى أشياء .

فإنما بينت أن عين تأويلاتهم هى عين تأويلات المريسى ويدل على ذلك[٤] كتاب الرد الذى صنعه عثمان بن سعيد الدرامى أحد الأئمة المشاهير فى[٥] زمان البخارى صنف كتابا وسماه (نقض عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما أفترى على الله من[٦] التوحيد) حكى فيه هذ التأويلات باعيانها عن بشر المريسى[٧] بكلام يقتضى أن المريسى اقعد بها واعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت اليهم من جهته وجهة غيره ثم رد ذلك عثمان بن سعيد بكلام إذا طالعه العاقل الذكى علم حقيقة ما كان عليه السلف وتبين له ظهور الحجة لطريقهم وضعف حجة من خالفهم .

ثم إذا رأى الأئمة — أئمة الهدى — قد أجمعوا على ذم المريسية[٨] وأكثرهم

---

(١) محمد ابن على الطيب البصرى المتكلم على مذهب المعتزلة توفى ٤٣٦ هـ .

(٢) قال الذهبى فى الميزان : أبو محمد وأبو الوفاء على بن عقيل الظفرى الحنبلى ٤٠٠ مجلد إلا أنه خالف السلف ووافق المعتزلة فى عدة بدع — نسأل الله العفو والسلامة فإن كثرة التبحر فى الكلام ربما أضر بصاحبه ومن حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه توفى سنة ٥١٣ هـ .

(٣) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالى الطوسى الفقية الشافعى . توفى سنة ٥٠٥ هـ بالطابران

(٤) فى المصرية . وعلمنا ذلك بكتاب

(٥) ن : ومن .

(٦) ن : فى

(٧) الفقية الحنفى المتكلم أخذ الفقه عن أبى يوسف وكان مرجئا وإليه تنسب الطائفة المريسية توفى سنة ٢١٨ هـ اهـ ابن خلكان .

(٨) اتباع بشر المريسى المتقدم آنفا .

كفروهم أوضللوهم ، وعلم أن هذا القول السارى فى هؤلاء المتأخرين هو مذهب المريسى تبين الهدى لمن يريد الله هدايته ولا حول ولا قوة إلا بالله .

والفتوى لا تحتمل البسط فى هذا الباب وإنما أشير إشارة إلى مبادىء الأمور والعاقل يسير [١] وينظر .

وكلام السلف فى هذا الباب موجود فى كتب كثيرة لا يمكن أن نذكر ههنا إلا قليلا منه مثل كتاب السنن للالكائى [٢] والابانة [٣] لابن بطة والسنة لأبى ذر الهروى [٤] والأصول لأبى عمرو الطلمنكى [٥] وكلام أبى عمر بن عبدالبر [٦] والأسماء والصفات للبيهقى [٧] وقبل ذلك السنة للطبرانى [٨] ولأبى الشيخ [٩] الاصبهانى ولأبى عبدالله بن منده [١٠] ولأبى أحمد العسال [١١] الاصبهانيين

---

(١) ن : يسبر (٢) أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور والرازى الالكائى الشافعى المتوفى سنة ٤١٨ هـ (٣) عبيد الله بن محمد بن بطة العكبرى شيخ الحنابلة فى وقته توفى سنة ٣٨٧ هـ (٤) أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عفير الأنصارى الهروى الحافظ الزاهد العابد المالكى شيخ الحرم توفى سنه ٤٣٤ هـ .

(٥) أبو عمرو أحمد بن محمد بن عبد الله الأندلسى الطلمنكي المالكى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ .

(٦) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (بن عبد البر) النمرى القرطبى المالكى الحافظ صاحب كتاب التمهيد والاستذكار والاستيعاب وغيرها من المصنفات الممتعة المباركة النافعة المتوفى سنة ٤٦٣ هـ بشاطبة (٧) أحمد بن الحسن أبو بكر البيهقى الشافعى الحافظ صاحب السنن وغيرها المتوفى سنة ٤٥٨ هـ .

(٨) أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمى الطبرانى الحافظ صاحب المعاجم الثلاثة توفى سنة ٣٦٠ هـ (٩) عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أبو محمد وأبو الشيخ ابن حيان المتوفى سنة ٣٦٩ هـ (١٠) أبو عبد الله محمد بن يحيى بن منده العبدى الحافظ صاحب تاريخ اصبهان توفى سنة ٣٠١ هـ (١١) القاضى أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم الاصبهانى العسال صاحب التصانيف توفى سنة ٣٤٩ هـ .

وقبل ذلك السنة للخلال[١]. والتوحيد لابن خزيمة[٢] وكلام أبى العباس بن سريج[٣] والرد على الجهمية لجماعة مثل البخارى[٤] وشيخه عبد الله بن محمد ابن عبد الله الجعفى[٥] وقبل ذلك السنة لعبد الله بن أحمد[٦] والسنة لأبى بكر ابن الأثرم[٧] والسنة لحنبل[٨] والمروزى[٩] ولأبى داود السجستانى[١٠] ولابن أبى شيبة[١١] والسنة لأبى بكر بن أبى عاصم[١٢] وكتاب خلق أفعال العباد للبخارى وكتاب الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد

---

(١) أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادى الخلال مؤلف علم أحمد بن حنبل ومرتبة المتوفى سنة ٣١١ هـ .

(٢) أبو بكر محمد بن اسحق بن خزيمة الشافعى إمام الأئمة صاحب الصحيح أخذ الفقه عن المزنى توفى سنة ٣١١ هـ .

(٣) القاضى أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادى قدوة الشافعية مات سنة ٣٠٦ هـ (٤) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخارى إمام الدنيا فى الحديث وحفظه وعلله صاحب الجامع الصحيح وغيره توفى سنة ٢٥٦ هـ (٥) أبو جعفر عبد الله ابن محمد بن عبد الله الجعفى البخارى الحافظ المسندى المتوفى سنة ٢٢٩ هـ كان فى الأصل : محمد ابن عبد الله ، فصححناه كما فى كتب الرجال .

(٦) أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل الحافظ الثقة البغدادى توفى سنة ٢٩٠هـ

(٧) أبو بكر أحمد بن محمد بن هانىء الأثرم البغدادى صاحب الإمام أحمد المتوفى سنة ٢٧٣ هـ

(٨) أبو على حنبل بن اسحق بن حنبل بن هلال بن أسد الحافظ الثقة ابن عم الإمام أحمد وتلميذه مات سنة ٢٧٣ هـ .

(٩) أبو بكر أحمد بن على بن سعيد المروزى القاضى أحد أوعية العلم وثقات المحدثين مات فى القضاء بدمشق سنة ٢٩٢ هـ .

(١٠) أبو داود سليمان بن الأشعث بن اسحق السجستانى صاحب السنن إمام جليل مات سنة ٢٧٥ هـ .

(١١) أبو بكر عبد الله بن محمد بن ابراهيم ابن عثمان (بن أبى شيبة) العبسى الكوفى الحافظ أحد الأعلام توفى سنة ٢٢٥ هـ .

(١٢) أبو بكر أحمد بن عمرو بن النبل (أبى عاصم) الضحاك بن مخلد الشيبانى البصرى قاضى أصبهان توفى سنة ٢٧٧ هـ .

الدارمى[1] وغيرهم وكلام أبى العباس عبد العزيز المكى[2] صاحب الحيدة فى الرد على الجهمية وكلام نعيم بن حماد الخزاعى[3] وكلام غيرهم وكلام الامام أحمد بن حنبل[4] واسحاق بن راهويه[5] ويحيى ابن سعيد[6] ويحيى ابن يحيى النيسابورى[7] وأمثالهم .

---

(١) عثمان بن سعيد الدارى صاحب كتاب النقض على بشر المريسى وغيره قال الفضل الفرات ما رأينا مثل عثمان بن سعيد ولا رأى هو مثل نفسه أخذ الحديث عن يحيى بن معين وابن المدينى والفقه عن البويطى والأدب عن ابن الأعرابى فتقدم فى هذه العلوم . مات بعد سنة ٢٨٠ هـ بسجستان ا هـ من العلو الذهبى ص ٢٤٧ طبع المنار .

(٢) عبد العزيز بن يحيى عبد العزيز الكنانى المكى الذى ينسب إليه الحيدة فى مناظرته لبشر المريسى وكان يلقب بالفيل لدمامته له تصانيف . لم يصح اسناد كتاب الحيدة إليه فكأنه وضع عليه — فالله أعلم ا هـ من ميزان الذهبى وقال فى تهذيب التهذيب : قال الخطيب : قدم بغداد فى أيام المأمون وجرت بينه وبين بشر المريسى مناظرة فى القرآن وهو صاحب كتاب الحيدة وكان من أهل العلم والفضل وله مصنفات عديدة وكان ممن تفقه للشافعى واشتهر بصحبته اهـ .

(٣) أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعى المروزى الحافظ صاحب التصانيف مات بالسجن بسرمن رأى لأنه لم يعل إلى القول بخلق القرآن سنة ٢٢٨ هـ ا هـ ميزان وخلاصة .

(٤) الامام الفقيه الحافظ العلم الحجة أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل قال الشافعى خرجت من بغداد وما خلفت بها أفقه ولا أورع ولا أزهد من أحمد بن حنبل توفى سنة ٢٤١ هـ عن ٧٧ سنة ا هـ خلاصة وحواشيها .

(٥) الامام الفقيه الحافظ العلم أبو محمد اسحق بن ابراهيم بن مخلد بن ابن ابراهيم المشهور بابن راهويه شيخ البخارى قال أحمد (بن حنبل) لا أعلم لاسحق نظيرا ، اسحق عندنا من أئمة المسلمين وإذا حدثك أبو يعقوب أمير المؤمنين فتمسك به — توفى سنة ٢٣٨ هـ عن ٦٧ سنة ا هـ خلاصة .

(٦) أبو سعيد يحيى بن سعيد بن فروخ التميمى القطان البصرى الحافظ الحجة أحد أئمة الجرح والتعديل قال أحمد مارأت عيناى مثله مات سنة ١٩٨ ا هـ خلاصة .

(٧) يحيى بن يحيى بن بكير بن عبد الرحمن بن يحيى الحنظلى التميمى ولاء أو نسبا الحافظ أحد الأئمة قال اسحق مارأيت مثله ولا رأى مثل نفسه وهو أثبت من ابن مهدى مات يوم مات وهو إمام الدنيا وقال النسائى مات الثقة المأمون سنة ٢٢٦ هـ ا هـ خلاصة .

وقيل : كعبد الله بن المبارك[1] وأمثاله وأشياء كثيرة وعندنا من الدلائل السمعية والعقلية مالا يتسع هذا الموضع لذكره .

وأنا أعلم أن المتكلمين النفاه لهم شبهات موجودة ولكن لا يمكن ذكرها في الفتوى فمن نظر فيها وأراد إبانة ما ذكروه من الشبه فإنه يسير[2]

فاذا كان أصل هذه المقالة ـ مقالة التعطيل والتأويل ـ مأخوذا عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود فكيف تطيب نفس مؤمن ـ بل نفس عاقل ـ أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم أو الضالين ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين[3]

---

(١) أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي ولاء المروزي أحد الأئمة الأعلام وشيوخ الاسلام قال ابن عيينة بن المبارك عالم المشرق والمغرب ومابينهما وقال شعبة : ما قدم علينا مثله ولد سنة ١١٨ﻫ ومات سنة ١١٨ﻫ اﻫ خلاصة .

(٢) ن : يسر .

(٣) قال الذهبي في ترجمة (علي بن عبيد الله) أبي الحسن الزعفراني الفقيه الحنبلي : له تصانيف فيها أشياء من بحوث المعتزلة بدعوه بها لكونه نصرها وما هذا من خصائصه بل قل من أمعن النظر في الكلام إلا وأداه (إلى ذلك) فإن علم الكلام مولد من علم الحكماء الدهرية فمن رام الجمع بين علم الأنبياء عليهم السلام وبين علم الفلاسفة بذكائه فلا بد وأن يخالف هؤلاء وهؤلاء ومن كف ومشى خلف ما جاءت به الرسل من إطلاق ما أطلقوا ولم يتحذلق ولا عمق ـ فإنهم صلوات الله عليهم أطلقوا وما عمقوا ـ فقد سلك طريق السلف الصالح وسلم له دينه ويقينه نسأل الله السلامة في الدين اﻫ .

فصل

ثم القول الشامل فى جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث .

قال الامام أحمد رضى الله عنه : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث .

ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا احاجى بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه ـ لاسيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق فى بيان العلم وأفصح الخلق فى البيان والتعريف والدلاله والارشاد . وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شىء لا فى نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ، ولا فى أفعاله ، فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة فكذلك له صفات حقيقة وهو ليس كمثله شىء لا فى ذاته ، ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله ، فكل ما أوجب نقصاً أو حدوثاً فإن الله منزه عنه حقيقة ، فإنه سبحانه مستحق للكمال الذى لا غاية فوقه ، ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه واستلزام الحدوث سابقة العدم ولافتقار المحدث إلى محدث ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى

ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله فيعطلوا[1] أسماءه الحسنى وصفاته العليا ، ويحرفوا الكلم عن مواضعه ، ويلحدوا فى أسماء الله وآياته

---

(١) بحذف النون فيه وفى الفعلين بعده لأنه جواب النفى مقرونا بالفاء وكان فى الأصل باثبات النون خطأ من النساخ فحذفناها تصحيحاً .

وكل واحد من فريقي[1] التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل - أما المعطلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات فقد جمعوا بين التعطيل والتمثيل - مثلوا أولا وعطلوا آخرا ، وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم ، وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة بالله سبحانه وتعالى ، فإنه إذا قال القائل : لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويا ، وكل ذلك من المحال ، ونحو ذلك من الكلام فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان على أي جسم كان وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم ، إما استواء يليق بجلال الله ويختص به فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة[2] التي يجب نفيها كما يلزم سائر الأجسام ، وصار هذا مثل قول المثل إذا كان للعالم صانع فاما أن يكون جوهراً أو عرضاً[3] إذ لا يعقل موجود إلا هذان ، وقوله إذا كان مستويا على العرش فهو مماثل لاستواء الانسان على السرير والفلك إذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا فإن كليهما مثل وكليهما عطل حقيقة ما وصف الله به نفسه وامتاز الأول بتعطيل كل اسم[4] للاستواء الحقيقي وامتاز الثاني بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين .

والقول الفاصل هو ما عليه الأمة الوسط من أن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وأنه سميع بصير ، ونحو ذلك ولا يجوز أن يثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التي لعلم المخلوقين وقدرتهم ، فكذلك هو سبحانه فوق العرش ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق وملزوماتها .

---

(١) في الهندية : ممن نفى وهي خطأ . (٢) في المصرية الثلاثة .

(٣) زاد في الهندية : وكلاهما محال . ولا محل لها هنا .

(٤) ن : مسمى الاستواء .

وأعلم أنه ليس فى العقل الصريح ولا فى شىء من النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلا ، لـكن هذا الموضع لا يتسع للجواب عن الشبهات الواردة على الحق فمن كان فى قلبه شبهة واحب حلها فذلك سهل يسير .

ثم المخالفون للـكتاب والسنة وسلف الأمة من المتأولين لهذا الباب فى أمر مريج[١] فإن من ينـكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها وأنه مضطر فيها إلى التأويل، ومن يحيل أن الله علما وقدرة وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك يقول : ان العقل أحال ذلك فاضطر إلى التأويل، بل من ينـكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقى فى الجنة يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل ، ومن يزعم[٢] أن الله ليس فوق العرش يزعم أن العقل احال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل .

ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل بل منهم من يزعم أن العقل جوز وأوجب ما يدعى الآخر أن العقل أحاله .

ياليت شعرى باى عقل يوزن الـكتاب والسنة !؟ فرضى الله عن الإمام مالك ابن أنس حيث قال : « أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم لجدل هؤلاء[٣] » .

وكل من هؤلاء مخصوم بما خصم به الآخر وهو من وجوه (أحدها) بيان أن العقل لا يحيل ذلك و (الثانى) أن النصوص الواردة لا تحتمل التأويل و(الثالث) أن عامة هذه الأمور[٤] قد علم أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء بها بالإضطرار كما أنه جاء بصلاة[٥] الخمس وصوم شهر رمضان فالتأويل الذى يحيلها عن

---

(١) ملتبس مختلط . (٢) ن : زعم . (٣) ن : هذا
(٤) ن : هذا الأمر . (٥) بالصلوات .

هذا بمنزله تأويل القرامطة والباطنية فى الحج والصلاة والصوم وسائر ما جاءت به النبوات (الرابع) أن يبين أن العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص و إن كان فى النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن درك التفصيل و إنما يعلمه [١] مجملا إلى غير ذلك من الوجوه على أن الوجوه [٢] الأساطين من هؤلاء الفحول معترفون بأن العقل لا سبيل له إلى اليقين فى عامة المطالب الالهية :

فإذا كان هكذا فالواجب تلقى علم ذلك النبوات على ما هو عليه ومن المعلوم للمؤمنين أن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ، وأنه بين للناس ما أخبرهم به من أمور الإيمان بالله واليوم الآخر . والإيمان بالله واليوم الآخر يتضمن الإيمان بالمبدأ والمعاد وهو الإيمان بالخلق والبعث كما جمع بينهما فى قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) وقال تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدةٍ) وقال تعالى (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده) وقد بين الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الإيمان بالله واليوم الآخر ما هدى الله به عباده وكشف به مراده .

ومعلوم للمؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من غيره بذلك وأنصح من غيره للأمة وأفصح من غيره عبارة وبيانا بل هو أعلم الخلق بذلك وانصح الخلق للأمة وافصحهم فقد أجتمع فى حقه كمال العلم والقدرة والإرادة ومعلوم أن المتكلم أو الفاعل إذا كمل علمه وقدرته و إرادته كمل كلامه وفعله ، و إنما يدخل النقص إما من نقص علمه و إما من عجزه عن بيان علمه وأما لعدم إرادته البيان .

والرسول هو الغاية فى كمال العلم ، والغاية فى كمال إرادته البلاغ المبين ، والغاية فى قدرته على البلاغ المبين — ومع وجود القدرة التامة والإرادة الجازمة يجب وجود

---

(١) ن : عقله (٢) ن : بحذفها

المراد – نعلم قطعا أن ما بينه من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر حصل به مراده من البيان ، وما أراده من البيان فهو مطابق لعلمه وعلمه بذلك أكمل العلوم . فكل من ظن أن غير الرسول أعلم بهذا منه وأكمل بيانا منه أو أحرص على هدى الخلق منه فهو من الملحدين لا من المؤمنين .

والصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن سلك سبيلهم فى هذا الباب على سبيل الاستقامة .

وأما المنحرفون عن طريقهم فهم ثلاث طوائف أهل التخييل وأهل التأويل وأهل التجهيل .

﴿ فأهل التخييل ﴾ هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف ومتفقة فإنهم يقولون : أن ما ذكر الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور لا أنه بين به الحق ، ولا هدى به الحق ، ولا أوضح به الحقائق . ثم هم على قسمين (منهم من يقول : أن الرسول لم يعلم الحقائق على ما هى عليه ويقولون : أن من المتفلسفة الآلهية[1] من علمها وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم الأولياء من علمها ويزعمون أن من الفلاسفة والأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين .

وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية باطنية الشيعة وباطنية الصوفية (ومنهم)[2] من يقول بل الرسول علمها لكن لم يبينها وإنما تكلم بما يناقضها وأراد من الخلق فهم ما يناقضها لأن مصلحة الخلق فى هذه الإعتقادات التى لا تطابق الحق ويقول هؤلاء : يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل ، وإلى إعتقاد معاد الأبدان مع

---

(١) يعنى الفلاسفة المعترفين بوجود الله كافلاطون وأرسطو والفارابى وابن سينا .
(٢) أى أهل التخييل .

أنه باطل ، ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون مع أن ذلك باطل، قالوا: لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريقة التى تتضمن الكذب لمصلحة العباد فهذا قول هؤلاء فى نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر (وأما الأعمال) فنهم من يقرها ومنهم من يجريها هذا المجرى . ويقول : إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض ويؤمر بها العامة دون الخاصة فهذه طريقة الباطنية الملاحدة الإسماعيلية[١] ونحوهم .

﴿ وأما أهل التأويل ﴾ فيقولون أن النصوص الواردة فى الصفات لم يقصد بها الرسول أن يعتقد الناس الباطل ولكن قصد بها معانى ولم يبين لهم تلك المعانى، ولا دلهم عليها ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم ثم يجتهدوا فى صرف تلك النصوص عن مدلولها ، ومقصوده إمتحانهم وتكليفهم واتعاب أذهانهم وعقولهم فى أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه ويعرف الحق من غير جهته وهذا قول المتكلمة والجهمية والمعتزلة ومن دخل معهم فى شىء من ذلك[٢] .

والذين قصدنا الرد فى هذه الفتيا عليهم هم هؤلاء ، إذ كان نفور الناس عن الأولين مشهوراً بخلاف هؤلاء فإنهم تظاهروا بنصر السنة فى مواضع كثيرة وهم فى الحقيقة لا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا لكن أولئك الملاحدة ألزموهم فى النصوص ـ نصوص المعاد ـ نظير ما ادعوه فى نصوص الصفات فقالوا لهم: نحن نعلم بالإضطرار أن[٣] الرسول جاء بمعاد الأبدان وقد علمنا فساد الشبهة المانعة منه . وأهل السنة يقولون لهؤلاء[٤]: ونحن نعلم بالإضطرار أن الرسل جاءت بإثبات الصفات . ونصوص[٥] الصفات فى الكتب الإلهية أكثر وأعظم من نصوص المعاد ويقولون لهم : معلوم أن مشركى العرب وغيرهم كانوا ينكرون المعاد وقد أنكروه على الرسول وناظروه عليه بخلاف الصفات فإنه لم يكن العرب تنكرها فعلم أن إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد ، وأن إنكار المعاد أعظم

---

(١) فرقة من غلاة الشيعة أكثرهم بالهند ومنهم بالشام (٢) أى كالاشعرية وبعض الحنابلة (٣) ن : الرسل جاءت (٤) أى المتكلمين (٥) من الصفات .

من إنكار الصفات ، فكيف يجوز مع هذا أن يكون ما أخبر به من الصفات ليس كما أخبر به وما أخبر به من المعاد هو على ما أخبر به ؟ (وأيضاً) فقد علم أنه صلى الله عليه وسلم قد ذم أهل الكتاب على ما حرفوه و بدلوه ، ومعلوم أن التوراة مملوءة من ذكر الصفات فلو كان هذا مما بدل وحرف لكان انكار ذلك عليهم أولى [١] فكيف وكانوا إذا ذكروا بين يديه الصفات ضحك تعجبا وتصديقا لها [٢] ولم يعبهم قط بما تعيب النفاة لأهل الاثبات [٣] على لفظ التجسيم والتشبيه ونحو ذلك بل عابهم بقولهم ﴿ يد الله مغلولة ﴾ وقولهم ﴿ إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ وقولهم : أنه استراح لما خلق السموات والأرض فقال تعالى ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ والتوراة مملوءة من الصفات المطابقة للصفات المذكوره فى القرآن والحديث ، وليس فيها تصريح بالمعاد كما فى القرآن فإذا جاز أن تتأول الصفات التى اتفق عليها الكتابان فتأويل المعاد الذى انفرد به أحدهما أولى ، والثانى مما يعلم بالاضطرار من دين الرسول أنه باطل فالأول أولى بالبطلان .

﴿ وأما الصنف الثالث ﴾ وهم أهل التجهيل فهم كثير من المنتسبين إلى السنة واتباع السلف يقولون : أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعرف معانى ما أنزل الله إليه من آيات الصفات ، ولا جبريل يعرف معانى الآيات ، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك . وكذلك قولهم فى أحاديث الصفات : أن معناها لا يعلمه إلا الله مع أن الرسول تكلم بها إبتداء فعلى قولهم تكلم بكلام لا يعرف معناه .

---

(١) ن : أولا .

(٢) يشير إلى حديث ابن مسعود : جاء حبر إلى رسول الله فقال يا محمد « أن الله يضع السماء على أصبع والأرض على أصبع والجبال على أصبع والشجر والأنهار على أصبع وسائر الخلق على أصبع ، ثم يقول بيده أنا الملك فضحك رسول الله وقال : وما قدروا الله حق قدره اه وهو فى صحيح البخارى فى كتاب التوحيد فى باب قول الله (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) .

(٣) ن : مثل .

وهؤلاء يظنون أنهم اتبعوا قوله تعالى ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ فإنه وقف أكثر السلف على قوله (وما يعلم تأويله إلا الله) وهو وقف صحيح لكن لم يفرقوا بين معنى الكلام وتفسيره ، و بين التأويل الذى انفرد الله تعالى بعلمه وظنوا أن التأويل المذكور فى كلام الله تعالى هو التأويل المذكور فى كلام المتأخرين وغلطوا فى ذلك .

فإن لفظ التأويل يراد به ثلاث معان[1] فالتأويل فى اصطلاح كثير من المتأخرين هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهرة تأويلا على اصطلاح هؤلاء وظنوا أن مراد الله تعالى بلفظ التأويل ذلك ، وأن للنصوص تأويلا يخالف مدلولها لا يعلمه إلا الله ولا يعلمه المتأولون . ثم كثير من هؤلاء يقولون : تجرى على ظاهرها فظاهرها مراد مع قولهم : إن لها تأويلا بهذا المعنى لا يعلمه إلا الله وهذا تناقض وقع فيه كثير من هؤلاء المنتسبين إلى السنة من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم

(والمعنى الثانى) أن التأويل هو تفسير الكلام سواء وافق ظاهره أو لم يوافقه وهذا هو معنى التأويل فى اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم وهذا التأويل يعلمه الراسخون فى العلم وهو موافق لوقف من وقف من السلف على قوله ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم ﴾ كما نقل ذلك عن ابن عباس ومجاهد ومحمد ابن جعفر بن الزبير ومحمد بن اسحاق وابن قتيبة وغيرهم ، وكلا القولين حق باعتبار كما بسطناه فى موضع آخر ، ولهذا نقل عن ابن عباس هذا وهذا ، وكلاهما حق

(والمعنى الثالث) أن التأويل هو الحقيقة التى يؤول الكلام إليها وإن وافقت ظاهره ، فتأويل ما أخبر الله به فى الجنة — من الأكل والشرب واللباس والنكاح وقيام الساعة وغير ذلك — هو الحقائق الموجودة أنفسها لا ما يتصور من معانيها فى

---

(١) : ن قد

الأذهان و يعبر عنه باللسان ، وهذا هو التأويل فى لغة القرآن كما قال تعالى عن يوسف أنه قال ﴿ يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقاً ﴾ وقال تعالى: ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ وقال تعالى ﴿ فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ .

وهذا التأويل هو الذى لا يعلمه إلا الله ، وتأويل الصفات هو الحقيقة التى انفرد الله تعالى بعلمها ، وهو الكيف المجهول الذى قال فيه السلف كمالك وغيره: الاستواء معلوم والكيف مجهول ، فالاستواء معلوم يعلم معناه و يفسر و يترجم بلغة أخرى ، وهو من التأويل الذى يعلمه الراسخون فى العلم وأما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذى لا يعلمه إلا الله تعالى .

وقد روى عن ابن عباس ماذكره عبد الرزاق وغيره فى تفسيرهم عنه أنه قال: تفسير القرآن على أربعة أوجه ، تفسير تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل ، فمن ادعى علمه فهو كاذب . وهذا كما قال تعالى ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ وقال النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ﴿ أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[1] ﴾ وكذلك علم وقت الساعة ونحو ذلك ، فهذا من التأويل الذى لا يعلمه إلا الله تعالى و إن كنا نفهم معانى ما خوطبنا به ونفهم من الكلام ما قصد إفهامنا إياه كما قال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ وقال ﴿ أفلم يدبروا القول ﴾ فامر بتدبر

---

(١) عزاه الشيخ ابن كثير فى تفسير سورة السجدة إلى رواية البخارى فى تفسير قول الله « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم » وإلى مسلم والترمذى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه — مرفوعا

القرآن كله لا بتدبر بعضه ، وقال أبو عبد الرحمن السلمى حدثنا الذين كانوا يقرؤننا القرآن عن عثمان بن عفان ، وعبد الله ابن مسعود ، وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات لا يتجاوزونها حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً . وقال مجاهد . عرضت المصحف على ابن عباس رضى الله عنهما من فاتحته إلى خاتمته اقف عند كل آيه واسأل عنها .وقال الشعبى ماابتدع أحد بدعة إلا وفى كتاب الله بيانها وقال مسروق ماسئل[1] أصحاب محمد عن شىء إلا وعلمه فى القرآن ولكن علمنا قصر عنه .

وهذا باب واسع قد بسط فى موضعه .

والمقصود هنا التنبيه على أصول المقالات الفاسدة التى أوجبت الضلالة فى باب العلم والإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن من جعل الرسول غير عالم بمعنى القرآن الذى نزل إليه ولا جبريل جعله[2] غير عالم بالسمعيات ولم يجعل القرآن هدى ولا بيانا للناس. ثم هولاء ينكرون العقليات فى هذا الباب بالكلية فلا يجعلون عند الرسول وأمته فى باب معرفة الله عز وجل لاعلوما عقلية ولا سميعة وهم قد شاركوا الملاحدة فى هذه من وجوه متعددة وهم مخطئون فيما نسبوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى السلف من الجهل كما اخطأ فى ذلك أهل التحريف والتأويلات الفاسدة وسائر أصناف الملاحدة .

ونحن نذكر من الفاظ السلف باعيانها وألفاظ من نقل مذهبهم إلى غير ذلك من الوجوه بحسب مايحتمله هذا الموضع ، ما يعلم بة مذهبهم .

روى أبو بكر البيهقى فى الأسماء والصفات باسناد صحيح عن الأوزاعى قال كنا — والتابعون متوافرون[3] — : نقول أن الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت فيه السنة من الصفات .

---

(١) ن : قال (٢) قوله : جعله هو خبر أن وضميره البارز راجع إلى الرسول لا إلى جبريل
(٣) ن : متوافقون .

وقد حكى الأوزاعى ـ وهو أحد الأئمة الأربعة فى عصر تابع التابعين الذين هم مالك[١] أمام أهل الحجاز والأوزاعى[٢] إمام أهل الشام والليث[٣] أمامأهل مصر والثورى[٤] إمام أهل العراق ــ حكى شهرة القول فى زمن التابعين بالإيمان بأن الله تعالى فوق العرش و بصفاته السمعية .

و إنماقال الأوزاعى هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله فوق عرشه والنافى لصفاته ليعرف الناس أن مذهب السلف كان يخالف هذا .

وروى أبو بكر الخلال فى كتاب السنة عن الأوزاعى قال : سئل مكحول والزهرى عن تفسير الأحاديث فقالا : ـ أمروها كما جاءت ، وروى أيضا عن الوليد ابن مسلم قال سألت مالك بن أنس وسفيان الثورى والليث بن سعد والأوزاعى عن الأخبار التى جاءت فى الصفات فقالوا : أمروها كما جاءت ـ وفى رواية ـ قالوا أمروها كما جاءت بلا كيف .

وقولهم رضى الله عنهم : أمروها كما جاءت رد على المعطلة ، وقولهم: بلا كيف رد على الممثلة .

والزهرى[٥] ومكحول[٦] هما أعلم التابعين فى زمانهم ، والأربعة الباقون أئمة الدنيا فى عصر تابعى التابعين ومن طبقاتهم حماد بن زيد[٧] وحماد بن سلمه[٨] وأمثالها.

---

(١) الامام أبو عبد الله مالك بن أنس المتوفى بالمدينة سنة ١٧٩ هـ

(٢) أبو عمرو الأوزاعى عبد الرحمن بن عمرو المتوفى سنة ١٥٧ هـ

(٣) أبو الحارث الليث بن سعد المصرى المتوفى بمصر سنة ١٧٥ هـ

(٤) أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثورى المتوفى سنة ١٦١ هـ عن ٦٤ سنة .

(٥) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى المتوفى سنة ١٢٥ هـ

(٦) أبو عبد الله مكحول الشامى مات وله بضع عشرة ومائة سنة .

(٧) أبو اسماعيل البصرى المتوفى سنة ١٧٩ هـ عن ٨١ سنة .

(٨) ابو سلمه البصرى المتوفى سنة ١٦٧ هـ

وروى أبو القاسم الازجى[1] باسناده عن مطرف بن عبد الله قال سمعت مالك بن أنس إذا ذكر عنده من يدفع أحاديث الصفات يقول: قال عمر بن عبدالعزيز: سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله ، واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ، ليس لأحد من خلق الله تغييرها ولا النظر فى شىء خالفها من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا .

وروى الخلال باسناد كلهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينه قال سئل ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن قوله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى قال الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ المبين وعلينا التصديق . وهذا الكلام مروى عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة بن أبى عبد الرحمن من غير وجه (ومنها) ما رواه أبو الشيخ[2] الأصبهانى وأبو بكر البيهقى[3] عن يحى بن يحى قال كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال يا أباعبدالله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا فامر[4] به أن يخرج .

---

(١) قال السمعانى فى الانساب : الازجى بفتح الألف والزاى وفى آخرها الجيم ، هذه النسبة إلى باب الأزج وهى محلة كبيرة ببغداد وكان منها جماعة كثيرة من العلماء والزهاد والصالحين وكلهم إلا شاء الله على مذهب أحمد بن حنبل رحمه الله والمشهور بهذه النسبة . أبو القاسم عبد العزيز بن على بن أحمد بن الفضل بن سكر بن بكران الازجى الخياط من أهل باب الازج كان ثقة صدوقا متكثرا صاحب كتاب ـ ثم قال : سمع منه جماعة كثيرة منهم أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب ومات فى المحرم سنة ٤٤٤ هـ ودفن بباب حرب اهـ ملخصا

(٢) عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المتوفى سنة ٣٦٩ هـ .

(٣) هو أحمد بن الحسين البيهقى توفى سنة ٤٥٨ هـ

(٤) ن : ثم أمر .

فقول ربيعة ومالك الإستواء غير مجهول الـكيف غير معقول والايمان به واجب موافق لقول الباقين : أمرها كما جاءت بلا كيف ، فإنما نفوا علم الـكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا : الاستواء غير مجهول والـكيف غير معقول ، ولما قالوا : أمروها كما جاءت بلا كيف فإن الاستواء حينئذ لايكون معلوما بل مجهولا بمنزلة حروف المعجم (وأيضا) فإنه لا يحتاج إلى نفى علم الـكيفية إذا لم يفهم عن [1] اللفظ معنى وإنما يحتاج إلى نفى علم الـكيفية إذا أثبتت الصفات (وأيضا) فإن من ينفى الصفات الجزئيه [2] ـ أو الصفات مطلقا ـ لا يحتاج إلى أن يقول بلا كيف فمن قال : أن الله ليس على العرش لا يحتاج أن يقول بلا كيف فلو كان مذهب السلف نفى الصفات فى نفس الأمر لما قالوا بلا كيف (وأيضا) فقولهم : أمروها كما جاءت يقتضى إبقاء دلالتها على ما هى عليه فإنها جاءت الفاظ دالة على معانى فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد ، أو أمروا لفظها مع أعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة وحينئذ تـكون قد أمرت كما جاءت ولا يقال حينئذ بلا كيف ، إذ نفى الـكيف عما ليس بثابت لغو من القول .

وروى الأثرم فى السنة ، وأبو عبد الله بن بطة فى الإبانة ، وأبو عمرو الطلمنكى وغيرهم باسناد صحيح عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون ـ وهو أحد أئمة المدينة الثلاثة الذين هم مالك بن أنس وابن الماجشون وابن أبى ذئب ـ وقد سئل عما [3] جحدت به الجهمية :

أما بعد قد فهمت ما سألت فيما تتابعت الجهمية ومن خلفها [4] فى صفة الرب العظيم الذى فاقت عظمته الوصف والتدبر [5] وكلت الألسن عن تفسير

(١) ن : من (٢) كذا ولعل صوابها الخبرية (٣) ن : فيما .
(٤) ن : خالفها (٥) ن : والتقدير .

صفته وانحصرت العقول دون معرفة قدرته ، وردت عظمته العقول فلم تجد مساغا فرجعت خاسئة وهى حسيرة . وإنما أمروا بالنظر والتفكير فيما خلق بالتقدير، وإنما يقال كيف لمن لم يكن مرة ثم كان . فأما الذى لايحول ولايزول ، ولم يزل وليس له مثل فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو . وكيف يعرف قدر من لم يبدأ ، ومن لايموت ولا يبلى ؟ وكيف يكون لصفة شىء منه حد أو منتهى يعرفه عارف أو يحد قدره واصف ؟ — على أنه الحق المبين لا حق أحق منه ولا شىء أبين منه — الدليل على عجز العقول عن تحقيق صفته عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه [١] لا تكاد تراه صغراً يحول ويزول ولا يرى له سمع ولا بصر ، لما [٢] يتقلب به ويحتال عن عقله أعضل بك وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين وخالقهم وسيد السادة وربهم ، ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

— « إعرف رحمك الله وغناك عن تكلف صفة مالم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها ؛ إذا لم تعرف قدرها ما وصف فما تكلفك علم ما لم يصف ؟ هل تستدل بذلك على شىء من طاعته أو تزجر به عن شىء من معصيته ؟ فأما الذى جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقاً وتكلفا فقد (أستهوته الشياطين فى الأرض حيران) فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف به الرب وسمى من نفسه بأن قال : لا بد أن كان كذا من أن يكون له كذا فعمى عن البين بالخفى ، فجحد ما سمى الرب من نفسه بصمت الرب عما لم يسم منها فلم يزل يملى له الشيطان حتى جحد قول الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) فقال لايراه أحد يوم القيامة فجحدوا لله أفضل كرامة التى أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه نضرته أياهم فى مقعدصدق عنه

---

(١) ت . مخلوقاته .

(٢) اللام للتأكيد وما اسم موصول أى للذى .

مليك مقتدر قد قضى أنهم لا يموتون فهم بالنظر إليه ينضرون — إلى أن قال — « وإنما جحد رؤية الله يوم القيامة إقامة للحجة الضالة المضلة لأنه قد عرف أنه إذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين وكان له جاحداً ، وقال المسلمون يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل تضارون[1] فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب » ؟ قالوا لا قال « فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب » قالوا لا قال « فإنكم ترون ربكم يومئذ كذلك » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تمتلىء النار حتى يضع الجبار فيها قدمه ، فتقول قط قط[2] وينزوى بعضها إلى بعض » وقال لثابت ابن قيس « لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة » وقال فيما بلغنا « أن الله تعالى ليضحك من ازلكم[3] وقنوطكم وسرعة إجاباتكم » فقال له رجل من العرب أن ربنا ليضحك ؟ قال لا « نعم » نعدم من رب يضحك خيراً فى أشباه لهذا مما لا نحصيه وقال تعالى ﴿ وهو السميع البصير — واصبر لحكم ربك فإنك باعيننا ﴾ وقال تعالى (ولتصنع على عينى) وقال تعالى (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) وقال تعالى (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) فوالله ما دلهم على عظم ما وصف به نفسه وما تحيط به قبضته الأصغر نظيرها منهم عندهم إن ذلك الذى ألقى فى روعهم وخلق على معرفة قلوبهم ، فما وصف الله به نفسه فسماه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم سميناه كما سماه ولم نتكلف منه صفة ما سواء لا هذا ولا هذا ، ولا نجحد ما وصف ولا نتكلف معرفة ما لم يوصف .

---

(١) تضارون بتخفيف الراء وتشديدها من الضير أو الضر بمعنى واحد .
(٢) قط اسم فعل بمعنى يكفى .
(٣) الأزل الضيق والشدة .

(إعلم) رحمك الله أن العصمة فى الدين أن تنتهى فى الدين حيث انتهى بك ولا تجاوز ما قد حد لك فإن من قوام الدين معرفة المعروف و إنكار المنكر فما بسطت عليه المعرفة وسكنت إليه الأفئده وذكر أصله فى الكتاب والسنة وتوارثت علمه الأمة فلا تخافن فى ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه عيبا [1] ولا تكلفن بما وصف لك من ذلك قدرا ، وما انكرته نفسك ولم تجد ذكره فى كتاب ربك ولا فى حديث عن نبيك من ذكر صفة ربك فلا تكلفن علمه بعقلك ولا تصفه بلسانك واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه ، فإن تكلفك معرفة ما لم يصف من نفسه كانكارك ما وصف منها فكما أعظمت ما جحده الجاحدون مما وصف من نفسه فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها ، فقد ـ والله ـ عز المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يعرف ، وينكرون المنكر وبانكارهم ينكر ، يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا فى كتابه وما يبلغهم مثله عن نبيه ، فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلب مسلم [2] ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن ، وما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه سماه من صفة ربه فهو بمنزلة ما سمى ووصف الرب تعالى من نفسه ، والراسخون فى العلم ، الواقفون حيث انتهى علمهم ، الواصفون لربهم بما وصف من نفسه التاركون لما ترك من ذكرها لا ينكرون صفة ما سمى منها جحدا ولا يتكلفون وصفه بما لم يسم تعمقا لأن الحق ترك ما ترك وتسمية ما سمى (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) وهب الله لنا ولكم حكما والحقنا بالصالحين .

وهذا كله كلام ابن الماجشون الإمام فتدبره وانظروا كيف اثبت الصفات ونفى

---

(١) عيناً .

(٢) ن : سليم .

علم الكيفية موافقا لغيره من الأئمة وكيف أنكر على نفى الصفات بأنه يلزمهم من اثباتها كذا وكذا كما تقوله الجهمية أنه يلزم أن يكون جسما أو عرضا فيكون محدثا .

وفى كتاب الفقه الأكبر المشهور عند أصحاب أبى حنيفة الذى رووه باسناد عن أبى مطيع الحكم بن عبد الله البلخى قال . سألت أبا حنيفة عن الفقه الأكبر فقال : لا تكفرن أحداً بذنب ولا تنفى أحداً به من الإيمان وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك ولا تتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا توالى أحداً دون أحد وأن ترد أمر عثمان وعلى إلى الله عز وجل .

قال أبو حنيفة : الفقه الأكبر فى الدين خير من الفقه فى العلم ولأن يفقه الرجل كيف يعبد ربه خير له من أن يجمع العلم الكثير قال أبو مطيع قلت أخبرنى عن أفضل الفقه قال تعلم الرجل الإيمان والشرائع والسنن والحدود واختلاف الأئمة ـ وذكر مسائل الإيمان ثم ذكر مسائل القدر والرد على القدرية بكلام حسن ليس هذا موضعه ـ ثم قال فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيتبعه على ذلك اناس فيخرج على الجماعة هل ترى ذلك ؟ قال لا قلت ولم وقد أمر الله ورسوله بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو فريضة واجبة قال كذلك لكن ما يفسدون أكثر مما يصلحون من سفك الدماء واستحلال الحرام قال ـ وذكر الكلام فى قتل الخوارج والبغاة إلى أن قال ـ قال أبو حنيفة عمن قال لا أعرف ربى فى السماء أم فى الأرض : فقد كفر لأن الله يقول (الرحمن على العرش استوى) وعرشه فوق سبع سموات قلت فإن قال إنه على العرش استوى ولكنه يقول لا أدرى العرش فى السماء أم فى الأرض ؟ قال هو كافر لأنه أنكر أن يكون فى السماء لأنه تعالى فى أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل ـ فى لفظ . سألت أبا حنيفة عمن يقول لا أعرف ربى فى السماء أم فى الأرض

قال قد كفر قال لأن الله يقول (الرحمن على العرش استوى) وعرشه فوق سبع سموات قال فإنه يقول على العرش استوى ولكن لا يدرى العرش فى الأرض أم فى السماء قال إذا أنكر أنه فى السماء فقد كفر .

ففى هذا الكلام المشهور عن أبى حنيفة عند اصحابه أنه كفر الواقف الذى يقول لا أعرف ربى فى السماء أم فى الأرض فكيف يكون النافى الجاحد الذى يقول ليس فى السماء ولا فى الأرض ؟ واحتج على كفره بقوله (الرحمن على العرش أستوى) قال وعرشه فوق سبع سموات و بين بهذا أن قوله تعالى (الرحمن على العرش أستوى) بين أن الله فوق السماوات فوق العرش وأن الاستواء على العرش دل على أن الله نفسه[1] فوق العرش ثم أنه أردف ذلك بتكفير من قال أنه على العرش استوى ولكن توقف فى كون العرش فى السماء أم فى الأرض قال لأنه أنكر أنه فى السماء لأن الله فى أعلى عليين و إنه يدعى من أعلى لا من أسفل وهذا تصريح من أبى حنيفة بتكفير من أنكر أن يكون الله فى السماء واحتج على ذلك بأن الله فى أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية فإن القلوب مفطورة على الاقرار بأن الله فى العلو وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل وقد جاء[2] اللفظ الآخر صريحا عنه بذلك فقال إذا أنكر أنه فى السماء فقد كفر . وروى هذا اللفظ باسناد عنه شيخ الاسلام أبو اسماعيل الأنصارى الهروى[3] فى كتاب الفاروق ورواه أيضاً بن[4] أبى حاتم أن هشام بن عبيد الله الرازى[5] صاحب محمد بن الحسن القاضى الذى حبس رجلا فى التجهم فتاب فجىء به إلى هشام ليطلقه فقال الحمد لله على التوبة فامتحنه هشام

---

(١) ن : بنفسه (٢) ى : فى (٣) عبد الله بن محمد المتوفى سنة ٤٨١ ه .
(٤) عبد الرحمن بن أبى حاتم محمد بن ادريس الرازى الإمام بن الإمام المتوفى سنة ٢٩١ ه . (٥) توفى سنة ٢٢١ ه أو القاضى صفة له لا لمحمد بن الحسن .

فقال اتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه فقال أشهد أن الله على عرشه ولا أدرى ما بائن من خلقه فقال ردوه إلى الحبس فإنه لم يتب وروى أيضاً عن يحيي بن معاذ الرازى أنه قال أن الله على العرش بائن من الخلق[١] وقد أحاط بكل شيء علما واحصى كل شيء عدداً . لا يشك فى هذه المقالة إلا جهمى ردى ضليل وهالك مرتاب يمزج الله بخلقه و يخلط منه الذات بالاقذار . والانتان . وروى أيضاً عن ابن المدينى[٢] لما سئل ما قول أهل الجماعة قال يؤمنون بالرؤية والكلام وأن الله فوق السماوات على العرش استوى فسئل عن قوله (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) فقال اقرأ ما قبلها (الم ترى أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض) وروى أيضاً عن أبى عيسى الترمذى[٣] قال هو على العرش كما وصف فى كتابه وعلمه وقدرته وسلطانه فى كل مكان وروى عن أبى زرعة الرازى[٤] إنه لما سئل عن تفسير قوله (الرحمن على العرش استوى) فقال تفسيره كما تقرأ هو على العرش وعلمه فى كل مكان ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله . وروى أبو القاسم الالكائى الحافظ الطبرى صاحب أبى حامد الاسفرائينى فى كتابه المشهور فى أصول السنة باسناده عن محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة قال

---

(١) ن : خلقه .

(٢) هو على بن عبد الله بن جعفر المدينى شيخ البخارى الذى قال فيه : ما استصغرت نفسى أمام أحد غير ابن المدينى مات سنة ٢٣٤ هـ .

(٣) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى الحافظ صاحب الجامع المشهور أحد دواوين السنة الستة توفى سنه ٢٧٩ هـ .

(٤) الإمام حافظ العصر عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ القرشى ولاء أبو زرعة الرازى قال البخارى سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل قال نزل أبو زرعة عندنا فقال لى أبى : يا بنى قد اعتضت عن نوافلى بمذاكرة هذا الشيخ ـ مات أبو زرعة فى آخر يوم من سنة ٢٦٤ هـ آن من تذكرة الحفاظ للذهبى .

اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الايمان بالقرآن والاحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج عما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن افتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لأنه[1] قد وصفه بصفة لا شيء .

محمد بن الحسن أخذ عن أبي حنيفة ومالك وطبقتهما من العلماء . وقد حكى هذا الأجماع وأخبر أن الجهمية تصفه بالامور السلبية غالبا أو دائما وقوله من غير تفسير أراد به تفسير الجهمية المعطلة الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الأثبات .

وروى البيهقي وغيره باسناد[2] صحيح عن أبي عبيد القاسم بن سلام . قال هذه الأحاديث التي تقول فيها ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب خيره وأن جهنم لا تمتلىء حتى يضع ربك فيها قدمه والكرسي . موضع القدمين وهذه الأحاديث في الرؤية هي عندنا حق حملها الثقات بعضهم عن بعض غير أنا إذا سئلنا عن تفسيرها لا نفسرها وما أدركنا أحدا يفسرها .

أبو عبيد[3] أحد الأئمة الأربعة الذين هم الشافعي وأحمد واسحق وأبو عبيد

---

(١) ن : فانه . (٢) ن بأسانيد صحيحة . (٣) أبو عبيد القاسم بن سلام الإمام العلم قال القاضي أحمد بن كامل كان أبو عبيد فاضلا في دينه وعلمه ربانيا متفننا في أصناف علوم الإسلام من القراءات والفقه والعربية والأخبار حسن الرواية صحيح النقل لا أعلم أحدا من الناس طعن عليه في شيء من أمر دينه وقال إبراهيم الحربي كان أبو عبيد كأنه جبل نسخ فيه الروح يحسن كل شيء الخ . ما أطال ابن خلكان في ترجمته وقال روى الناس من كتبه المصنفه بضعة وعشرين كتابا في القرآن الكريم والحديث وغريبه والفقه وله الغريب المصنف والأمثال ومعاني الشعر ثم قال ومن تصانيفه أيضاً المقصور والممدود في القراءات والمذكر والمؤنث وكتاب النسب والأحداث وأدب القاضي وعدد أي القرآن والإيمان والنذور والحيض وكتاب الأموال وغير ذلك رحمه الله ا هـ .

وله من المعرفة بالفقه واللغة والتأويل ما هو أشهر من أن يوصف وقد كان فى الزمان الذى ظهرت فيه الفتن والاهواء فقد اخبر أنه ما ادرك أحداً من العلماء يفسرها أى تفسير الجهمية .

وروى الألكائى والبيهقى عن عبدالله بن المبارك أن رجلا قال له ياابا عبدالرحمن إنى اكره الصفة عن[1] صفة الرب فقال له عبد الله بن المبارك : أنا اشد الناس كراهية لذلك ولكن إذا نطق الكتاب بشىء قلنا به وإذا جاءت الآثار بشىء جسرنا عليه ـ ونحو هذا .

أراد ابن المبارك أنا نكره أن نبتدىء بوصف الله من ذات أنفسنا حتى يجىء به الكتاب والآثار .

وروى عبد الله بن أحمد وغيره باسناد[2] صحيح عن ابن المبارك أنه قيل له بماذا نعرف ربنا ؟ قال : بانه فوق السموات[3] على عرشه بائن من خلقه ، ولا نقول كما تقول الجهمية : أنه ههنا فى الأرض ـ وهكذا قال الامام أحمد وغيره .

وروى باسناد صحيح عن سليمان بن حرب الامام سمعت حماد بن زيد وذكر هؤلاء الجهمية فقال : إنما يحاولون[4] أن يقولوا ليس فى السماء شىء .

وروى ابن أبى حاتم فى كتاب الرد على الجهمية عن سعيد بن عامر الضبعى[5] إمام أهل البصرة علما ودينا من شيوخ الإمام أحمد انه ذكر عنده الجهمية فقال : اشر قولا من اليهود والنصارى ، وقد اجتمع اليهود والنصارى ، وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش ، وقالوا هم . ليس على شىء .

وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة أمام الأئمة[6] من لم يقل : أن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب فان تاب وإلا ضربت عنقه ثم ألقى على مزبلة لئلا يتأذى بريحه[7] أهل القبلة ولا أهل الذمة ، ذكره عنه الحاكم باسناد صحيح

---

(١) كذا وفى العلو للذهبى عنى . (٢) بأسانيد صحيحة . (٣) ن : سمواته

(٤) ن . يجادلون (٥) توفى سنة ٢٠٨ هـ (٦) المتوفى سنة ٣١١ هـ .

(٧) بنتن ريحه .

وروى عبد الله بن الإمام أحمد باسناده عن عباد بن العوام الواسطى امام أهل واسط[١] من طبقة شيوخ الشافعى وأحمد قال: كلمت بشر المريسى وأصحاب بشر فرأيت آخر كلامهم ينتهى أن يقولوا : ليس فى السماء شىء .

وعن عبد الرحمن بن مهدى الإمام المشهور[٢] أنه قال : ليس فى اصحاب الأهواء شر من أصحاب جهم يدورون على أن يقولوا : ليس فى السماء شىء ، أرى الله أن لا ينا كحوا ولا يوارثوا .

وروى عبد الرحمن بن أبى حاتم فى كتاب الرد على الجهمية عن عبد الرحمن ابن مهدى قال : اصحاب جهم يريدون أن يقولوا أن الله لم يكلم موسى، ويريدون أن يقولوا : ليس فى السماء شىء ، وأن الله ليس على العرش . أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا قتلوا.

وعن الأصمعى[٣] قال : قدمت امرأة جهم فنزلت بالدباغين فقال رجل عندها: الله على عرشه فقالت : محدود على محدود وقال الأصمعى . كفرت بهذه المقالة .

وعن عاصم بن على[٤] بن عاصم شيخ أحمد والبخارى وطبقتهما قال : ناظرت جهميا فتبين من كلامه أن لا يؤمن أن فى السماء ربا .

وروى الإمام أحمد قال : أنا سريج بن نعمان قال : سمعت عبد الله بن نافع الصائغ قال : سمعت مالك بن أنس يقول : الله فى السماء وعلمه فى كل مكان لا يخلو من علمه مكان .

وقال الشافعى : خلافة أبى بكر الصديق حق قضاه فى السماء[٥] وجمع عليه قلوب عباده . وفى الصحيح عن أنس بن مالك قال : كانت زينب تفتخر على ازواج[٦] النبى صلى الله عليه وسلم تقول : زوجكن اهاليكن وزوجنى الله من فوق سبع سموات ـ وهذا مثل قول الشافعى .

---

(١) توفى سنة ١٨٥ هـ . (٢) توفى سنة ١٩٨ هـ . (٣) هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن أصمع أبو سعيد الباهلى مات سنة ٢١٦ هـ
(٤) توفى سنة ٢٢١ هـ (٥) ن : سمائه . (٦) ن : نساء

وقصة أبى يوسف صاحب أبى حنيفة مشهورة فى استتابة بشر المريسى حتى هرب منه لما انكر الصفات وأظهر قول جهم قد ذكرها ابن أبى حاتم وغيره .

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى زمنين[1] الامام المشهور من أئمة المالكية فى كتابه الذى صنفه فى أصول السنة قال فيه .

باب الايمان بالعرش

قال . « ومن قول أهل السنة أن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ثم استوى عليه كيف شاء كما أخبر عن نفسه فى قوله (الرحمن على العرش استوى) وقوله (ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الأرض) الآية فسبحان من بعد وقرب بعلمه فسمع النجوى – وذكر حديث أبى رزين العقيلى قلت يارسول الله اين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال فى عما[2] ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء ، قال محمد : العماء السحاب الكثيف المطبق فيما ذكره الخليل – وذكر آثاراً أخر ثم قال : –

باب الايمان بالكرسى

قال محمد بن عبد الله «ومن قول أهل السنة أن الكرسى بين يدى العرش وأنه موضع القدمين – ثم ذكر حديث أنس الذى فيه التجلى يوم الجمعة فى الآخرة وفيه فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه ثم يحف الكرسى على منابر من ذهب مكللة بالجواهر ثم يجىء النبيون فيجلسون عليها – وذكر ما ذكره يحيى بن سالم صاحب التفسير المشهور : حدثنى العلاء بن هلال عن عمار الهذلى عن سعيد ابن

---

(١) كان فى الأصل الدمينى وهو تحريف عن ابن عيسى أو ابن أبى زمنين لأن المذكور هو محمد بن عبد الله بن عيسى أبو عبد الله بن ابى زمنين المرى البيرى الغرناطى توفى سنة ٣٩٩ ﻫ كما فى الديباج المذهب لأبن فرحون وسمى جده فى الجيوش اجتماع الإسلامية نعيس وهو خطأ . (٢) ن : عماء .

جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أن الكرسى الذى وسع السموات والأرض لموضع القدمين ولا يعلم قدر العرش إلا الذى خلقه ــ وذكر من حديث أسيد بن موسى ثنا حماد بن سلمه عن زرعن بن مسعود قال : مابين السماء الدنيا والتى تليها مسيرة خمسمائة عام ، و بين كل سماء خمسمائة عام ، و بين السماء السابعة والكرسى خمسمائة عام و بين الكرسى والماء خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله فوق العرش ، وهو يعلم ما أنتم عليه .

ثم قال فى باب الإيمان بالحجب قال : ومن قول أهل السنة أن الله بائن من خلقه يحتجب عنهم بالحجب فتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيراً كبرت كلمة تخرج من افواهم إن يقولون إلا كذبا وذكر آثاراً فى الحجب .

ثم قال فى (باب الايمان بالنزول) قال : ومن قول أهل السنة أن الله ينزل إلى سماء الدنيا و يؤمنون بذلك من غير أن يحدوا فيه حداً وذكر الحديث من طريق مالك وغيره ــ إلى أن قال وأخبرنى وهب [١] عن ابن وضاح عن الزهرى [٢] عن ابن عباد قال : ومن ادركت من المشايخ مالك وسفيان وفضيل ابن عياض وعيسى [٣] بن المبارك ووكيع كانوا يقولون إن النزول حق قال ابو ضاح وسألت يوسف بن عدى عن النزول قال نعم أو من به ولا أحد فيه حداً وسألت عنه ابن معين فقال نعم [٤] آمر به ولا أحد فيه حداً .

---

(١) وهو وهب بن مسرة فإنه معدود فى شيوخ ابن أبى زمنين ومن تلامذة محمد بن وضاح وله كتاب فى السنة.

(٢) غير ابن شهاب شيخ مالك وإنما هو أبو مصعب الزهرى أحمد ابن أبى بكر القاسم بن الحارث ابن زرارة بن مصعب بن عوف أخذ عن مالك وعنه ابن وضاح وغيره توفى سنة ٢٤٢ .

(٣) ن : أقر .

(٤) كذا فى الأصل ولعله تحريف عن عبد الله أو عن على .

قال محمد (١) وهذا الحديث يبين أن الله عز وجل على العرش فى السماء دون الأرض وهو أيضاً بين فى كتاب الله وفى غير (٢) حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه) وقال تعالى (أءمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصباً) وقال تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال (وهو القاهر فوق عباده) وقال تعالى (ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى) وقال (بل رفعه الله إليه) .

وذكر (٣) من طريق مالك قول النبى للجارية « اين الله » قالت فى السماء قال « من أنا » قالت أنت رسول الله » قال : « فاعتقها » (قال) والأحاديث مثل هذا كثيرة جداً فسبحان من علمه بما فى السماء كعلمه بما فى الأرض لا إله إلا هو العلى العظيم .

وقال (٤) قبل ذلك فى الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه قال ؛ وأعلم بأن أهل العلم بالله وبما جاءت به انبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به عن نفسه علماً والعجز عن ما يدعو عليه إيماناً وإنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث أنهى فى كتابه على لسان نبيه وقد قال : وهو أصدق القائلين (كل شىء هالك إلا وجهه) قال (قل أى شىء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم) قال (ويحذركم الله نفسه) وقال (فإذا سويته ونفخت فيه من روحى) وقال (فإنك بأعيننا) وقال (ولتصنع على عينى) وقال (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان) وقال (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة) الآية وقال (إننى معكما أسمع وأرى) وقال (وكلم الله موسى تكليما) وقال تعالى (الله نور السماوات والأرض)

---

(١) أى ابن عبد الله (ابن أبى زمنين) صاحب كتاب أصول السنة (٢) ن : ما

(٣) أى صاحب كتاب أصول السنة .

(٤) ن : لم يدع وكلاهما لا يخلو من تحريف .

الآية وقال (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) الآية وقال (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) ومثل هذا فى القرآن كثير فهو تبارك وتعالى نور السماوات والأرض كما أخبر عن نفسه وله وجه ونفس وغير ذلك مما وصف به نفسه و يسمع و يرى و يتكلم هو الأول لا شيء قبله والآخر الباقى إلى غير نهاية ولا شيء بعده والظاهر العالى فوق كل شيء والباطن بطن علمه بخلقه فقال (وهو بكل شيء عليم) قيوم حى لا تأخذه سنة ولا نوم .

وذكر أحاديث الصفات ، ثم قال : فهذه صفات ربنا التى وصف بها نفسه فى كتابه ووصفه بها نبيه وليس فى شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير لم تره العيون فتحده كيف هو ؟ ولكن رأته القلوب فى حقائق الإيمان « اهـ

وكلام الأئمة فى هذا الباب أطول وأكثر من أن تسع هذه الفتيا عشره وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم .

مثل ماذكره أبو سليمان[٢] الخطابى فى رسالته المشهورة فى الغنية عن الكلام وأهله قال « فأما ما سألت عنه من الصفات وما منها فى الكتاب والسنة فإن مذهب السلف اثباتها و إجراؤها على ظواهرها ونفى الكيفية والتشبيه عنها وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله ، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا فى ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف و إنما القصد فى سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين ، ودين الله تعالى بين الغالى فيه والمقصر عنه والأصل فى هذا أن الكلام فى الصفات فرع على الكلام فى الذات و يحتذى فى ذلك حذوه ومثاله فإذا كان معلوما أن إثبات البارى سبحانه إنما هو إلا إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف فإذا قلنا يد و سمع وبصر وما أشبهها

---

(١) أى صاحب كتاب أصول السنة .

(٢) حمد بن ابراهيم بن خطاب المتوفى سنة ٣٨٨ هـ .

فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه ولسنا نقول: أن معنى اليد القوة والنعمة ولا معنى السمع والبصر العلم ولا نقول إنها جوارح ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل ونقول أن القول إنما وجب بإثبات الصفات لأن التوقف ورد بها ووجب نفي التشبيه عنها لأن الله ليس كمثله شيء وعلى هذا جرى قول السلف في أحاديث الصفات » هذا كله كلام الخطابي.

وهكذا قاله أبو بكر الخطيب [1] الحافظ في رسالة أخبر فيها أن مذهب السلف على ذلك.

وهذا الكلام الذي ذكره الخطابي قد نقل نحواً منه من العلماء من لا يحصى عددهم مثل أبي بكر الإسماعيلي [2] والإمام يحيى [3] بن عمار السجزي وشيخ الإسلام أبي إسماعيل [4] الهروي ومثل أبي عثمان [5] الصابوني شيخ الإسلام وأبي عمر بن عبد البر [6] النمري إمام المغرب. وغيرهم.

وقال أبو نعيم [7] الاصبهاني صاحب الحلية في عقيدة له قال في أولها، طريقنا طريقة المتبعين الكتاب والسنة وإجماع الأمة قال فما اعتقدوه أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرش واستواء الله يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه وأن الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم وهو مستو على عرشه في سمائه دون أرضه وخلقه ».

---

(١) أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي الشافعي صاحب تاريخ بغداد وغيره المتوفى سنة ٤٦٣ هـ.

(٢) أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل الأسماعيلي الجرجاني الشافعي المتوفى سنة ٣٧١ هـ.

(٣) توفى سنة ٤٢٢ هـ عن قريب من ٨٠ سنة.

(٤) تقدم ص ٣٨

(٥) اسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن اسماعيل بن ابراهيم الصابوني الشافعي المتوفى سنة ٤٤٧ هـ

(٦) تقدم ص ١٧.

(٧) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحق الصوفي الشافعي المتوفى سنة ٣٤٢ هـ.

وقال الحافظ أبو نعيم فى كتابه محجة الواثقين ومدرجة الوامقين تأليفه « وأجمعوا أن الله فوق سمواته عال على عرشه مستو عليه لا مستول عليه كما تقول الجهمية أنه بكل مكان خلافا لما نزل فى كتابه (أءمنتم من فى السماء - إليه يصعد الكلم الطيب - الرحمن على العرش استوى) له العرش المستوى عليه والكرسى الذى وسع السموات والأرض وقوله (وسع كرسيه السموات والأرض) وكرسيه جسم والأرضون السبع والسموات السبع عند الكرسى كحلقة فى أرض فلاة وليس كرسيه علمه كما قالت الجهمية بل يوضع كرسيه يوم القيامه لفصل القضاء بين خلقه كما قال النبى صلى الله عليه وسلم وأنه تعالى وتقدس يجىء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده والملائكة صفاً صفاً كما قال تعالى ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾ وزاد [1] النبى صلى الله عليه وسلم وأنه تعالى وتقدس يجىء يوم القيامة لفصل القضاء بين عبادة فيغفر لمن يشاء من مذنبى الموحدين و يعذب من يشاء كما قال تعالى ﴿ يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء ﴾ .

وقال الإمام العارف معمر [2] بن أحمد الاصبهانى شيخ الصوفية فى حدود المائة الرابعة فى بلاده قال أحببت أن أوصى أصحابى بوصية من السنة وموعظة [3] من الحكمة وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر بلا كيف وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين قال فيها « وأن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل والاستواء معقول والكيف فيه مجهول - وأنه عز وجل بائن من خلقه والخلق منه بائنون بلا حلول ولا ممازجه ولا اختلاط ولا ملاصقة لأنه الفرد البائن من الخلق ، الواحد الغنى عن الخلق وأن الله عز وجل سميع بصير عليم خبير يتكلم و يرضى و يسخط و يضحك و يعجب و يتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا

(١) ن : قال .

(٢) أبو منصور الزاهد شيخ الصوفية فى زمانه باصبهان روى عن الطبرانى وأبى الشيخ مات فى رمضان سنة ٤١٨ هـ من العلو للذهبى .

(٣) ن : مواعظ .

و ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء فيقول هل من داع فاستجيب له هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب فاتوب عليه حتى يطلع الفجر ، ونزول الرب إلى السماء بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال وسائر الصفوة [1] من العارفين على هذا » اه

وقال الشيخ الامام أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال [2] فى كتاب السنة حدثنا أبو بكر الأثرم [2] حدثنا ابراهيم بن الحارث يعنى العبادى حدثنا الليث بن يحيي قال: سمعت ابراهيم بن الأشعث -قال أبو بكر هو صاحب الفضيل- قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : ليس لنا أن نتوهم فى الله كيف هو ؟ لأن الله تعالى وصف نفسه فابلغ فقال ﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد ﴾ فلا صفة ابلغ مما وصف به نفسه وكل هذا النزول والضحك وهذه المباهاة وهذا الاطلاع كما يشاء أن ينزل ، وكما يشاء أن يباهى ، وكما يشاء أن يضحك ، وكما يشاء أن يطلع فليس (لنا) أن نتوهم كيف ، وكيف فإذا قال الجهمى: أنا أكفر برب يزول عن مكانه فقل: بل أومن برب يفعل ما يشاء.

ونقل هذا عن الفضيل جماعة منهم البخارى فى أفعال العباد .

ونقل هذا [4] شيخ الاسلام باسناده فى كتابه الفاروق فقال حدثنا يحيى بن عمار حدثنا أبى حدثنا يوسف بن يعقوب حدثنا حرمى بن على البخارى وهانى بن النضر عن الفضيل [5]

وقال عمرو بن عثمان المكى [6] فى كتابه الذى سماه التعرف باحوال العباد والمتعبدين

---

(١) ن : الصوفية (٢،٢) تقدما ص ١٨ (٣) ن : نقله

(٤) هو أبو اسماعيل الهروى الحنبلى تقدم ص ٣٨

(٥) أى كره كما ذكره الخلال .

(٦) قال الذهبي فى العلو : كما عمرو هذا من نظراء الجنيد كبير القدر مات قبل الثلثمائة ه وعده صاحب شذرات الذهب فى وفيات سنة ٢٩٧ ه وقال (هو) الزاهد شيخ الصوفية صاحب التصانيف فى الطريق : صحب أبا سعيد الخراز والجنيد اه وسماه فى اجتماع الجيوش الإسلامية محمداً وأرخ وفاته سنة ٢٩١ ه فحرره .

قال : ماتحابه[١] الشيطان للتائبين وذكر أنه يوقعهم فى القنوط ثم فى الغرور وطول الأمل ثم فى التوحيد فقال «من أعظم مايوسوس فى التوحيد بالشكل أو فى صفات الرب بالتمثيل والتشبيه أو بالجحد لها والتعطيل فقال بعد ذكر حديث الوسوسة :

(واعلم) رحمك الله ان كلما توهمه قلبك أو سنح فى مجارى فكرك أو خطر فى معارضات قلبك من حسن أو بهاء أو ضياء أو اشراق[٢] أو جمال أو سنح[٣] مسائل أو شخص متمثل فالله تعالى بغير ذلك بل هو تعالى أعظم وأجل وأكبر ألا تسمع لقوله (ليس كمثله شيء) وقوله : (ولم يكن له كفوا أحد) أى لا شبيه ولا نظير ولا مساوى ولا مثل أو لم تعلم أنه لما تجلى للجبل تدكدك لعظم هيبته وشامخ سلطانه فكما لا يتجلى لشيء إلا اندك كذلك لايتوهمه أحد إلا هلك فرد بما بين الله فى كتابه من نفسه عن نفسه التشبيه والمثل والنظير والكفو فان اعتصمت بها وامتنعت منه أتاك من قبل التعطيل لصفات الرب تعالى وتقدس فى كتابه وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فقال لك : إذا كان موصوفا بكذا أو وصفته أوجب له التشبيه فاكذبه لأنه اللعين إنما يريد أن يستزلك ويغويك ويدخلك فى صفات الملحدين الزائغين الجاحدين لصفة الرب تعالى .

(واعلم)-رحمك الله-تعالى أن الله تعالى واحد لا كالآحاد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد»-إلى أن قال-خلصت له الأسماء السنية فكانت واقعة فى قديم الأزل بصدق الحقائق لم يتحدث[٤] تعالى صفة كان منها خليا واسم كان منه بريا ، تبارك وتعالى فكان هاديا سيهدى وخالقا سيخلق ورازقا سيرزق وغافرا سيغفر وفاعلا سيفعل ولم يحدث له الاستواء الا وقد كان فى صفة أنه سيكون ذلك الفعل فهو يسمى به فى جملة فعله كذلك قال الله تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) بمعنى أنه سيجيء فلم يستحدث الاسم بالمجيء وتخلف الفعل لوقت المجيء فهو جاء

(١) فى اجتماع الجيش الاسلامية : (فى باب ما يجيء) به وهى أظهر فما هنا محرف لايظهر معناه . (٢) ن : اشراق . (٣) ن : شبح . (٤) ن : يستحدث

سيجىء و يكون المجىء منه موجودا بصفة لا تلحقه الـكيفية ولا التشبيه لأن ذلك فعل الربوبية فيستحسر العقل[1] وتنقطع النفس عند أرادة الدخول فى تحصيل كيفية المعبود، فلا تذهب فى أحد الجانبين ولا معطل ولا مشبه وأرض لله بما رضى به لنفسه وقف عند خبره لنفسه مسلما مستسلما مصدقا بلا مباحثة التنفير ولا مناسبة التنقير إلى أن قال «فهو تبارك وتعالى القائل. أنا الله لا الشجرة الجائى قبل أن يكون جائيا لا أمره المتجلى لاوليائه فى المعـاد فتبيض به وجوههم وتفلج به على الجاحدين حجتهم ، المستوى على عرشه بعظمة جلاله فوق كل مكان تبارك وتعالى الذى كلم موسى تكليما وأراه من آياته فسمع موسى كلام الله لأنه قربه نجيا تقدس أن يكون كلامه مخلوقا أو محدثا أو مربوبا الوارث بخلقه لخلقه السميع لاصواتهم، الناظر بعينه إلى أجسامهم يداه مبسوطتان وهما غير نعمته خلق آدم ونفخ فيه من روحه ـ وهو أمره ـ تعالى وتقدس أن يحل بجسم أو يمازج بجسم أو يلاصق به ، تعالى عن ذلك علوا كبيرا الشائى له المشيئة العالم له العلم الباسط يديه بالرحمة النازل كل ليلة إلى سماء (الدنيا) ليتقرب اليه خلقه بالعبادة وليرغبوا اليه بالوسيلة القريب فى قربه من حبل الوريد ، البعيد فى علوه من كل مكان بعيد ولا يشبه بالناس ـ إلى أن قال « إليه يصعد الـكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » القائل « أءمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا » تعالى وتقدس أن يكون فى الأرض كما هو فى السماء جل عن ذلك علوا كبيرا » اهـ

وقال الإمام أبو عبد الله الحارث بن اسماعيل بن أسد المحاسبي[2] فى كتابه المسمى فهم القرآن قال فى كلامه على الناسخ والمنسوخ ، وأن النسخ لا يجوز فى

---

(١) ن : العقول .

(٢) فى تهذيب التهذيب . قيل مات سنة ٢٤٣ هـ .

الأخبار قال . لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله وصفاته ولأسماءه يجوز أن ينسخ منها شيء - إلى أن قال : وكذلك لا يجوز إذا أخبر أن صفاته حسنة عليا أن يخبر بذلك أنها دنية سفلى فيصف نفسه بأنه جاهل ببعض الغيب بعد أن أخبر أنه عالم بالغيب ، وأنه لا يبصر ما قد كان ولا يسمع الأصوات ولا قدرة له ولا يتكلم وولا كلام[1] كان منه وأنه تحت الأرض لا على العرش جل وعلا عن ذلك فإذا عرفت ذلك واستيقنته علمت ما يجوز عليه النسخ وما لا يجوز فان تلوت آية في ظاهر تلاوتها تحسب انها ناسخة لبعض اخباره كقوله عن فرعون «فلما أدركه الغرق قال آمنت » الآيات وقال « حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين» وقال . قد تأول قوم أن الله عنى أن ينجيه ببدنه من النار لأنه آمن عند الغرق وقال. إنما ذكر الله أن قوم فرعون يدخلون النار دونه وقال «فأوردهم النار» وقال « وحاق بآل فرعون سوء العذاب » ولم يقل بفرعون قال . وهكذا الكذب على الله لأن الله تعالى يقول «فأخذه الله نكال الآخرة الأولى» كذلك قوله «فليعلمن الله الذين صدقوا » فاقر التلاوة على استئناف العلم من الله عز وجل عن أن يستأنف علماً بشيء لأنه من ليس له علم بما يريد أن يصنعه لم يقدر أن يصنعه نجده ضرورة قال « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » قال و إنما قوله « حتى نعلم المجاهدين » إنما يريد حتى نراه فيكون معلوماموجودا لأنه لاجائزأن يكون يعلم الشيء معدوما من قبل أن يكون و يعلمه موجودا كان قدكان فيعلم في وقت واحدامعدوما موجودا وأن لم يكن وهذا محال- وذكر كلاما في هذا في الإرادة -إلى أن قال«وكذلك قوله « انا معكم مستمعون : ليس معناه أن يحدث له سمعاً ولا تكلف بسمع ما كان من قولهم وقد ذهب قوم من أهل السنة أن لله استماعاً في ذاته فذهبوا

---

(١) ن : وكالكلام .

إلى أن ما يعقل من أنه يحدث منهم علم سمع لما كان من قول لأن المخلوق إذا سمع حدث له عقد فهم عما أدركته أذنه من الصوت وكذلك قوله «وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله» لا يحدث بصراً محدثاً فى ذاته وإنما يحدث الشيء فيراه مكونا كما لم يزل يعلم قبل كونه إلى أن قال . «وكذلك قوله تعالى «وهو القاهر فوق عباده» وقوله «الرحمن على العرش استوى» وقوله« أءمنتم من فى السماء» وقوله «اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» «وقال يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج اليه» وقال «تعرج الملائكة والروح إليه» وقال لعيسى «إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا» الآية وقال «بل رفعه الله إليه» وقال «إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته» وذكر الآلهة أن لو كان آلهة لا بتغوا إلى ذى العرش سبيلا حيث هو فقال «قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لا بتغوا إلى ذى العرش سبيلا» أى طلبه وقال«سبح اسم ربك الأعلى» قال أبو عبد الله [1] فلن ينسخ ذلك لهذا أبداً كذلك قوله وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله» وقوله «ونحن أقرب اليه من حبل الوريد» وقوله «وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم» وقوله ما يكون من نجوى ثلاثة إلاهو رابعهم»الآية فليس هذا بناسخ لهذا ولا هذا ضد لذلك.

(وأعلم)أن هذه الآيات ليس معناها أن الله اراد الكون بذاته فيكون فى اسفل الأشياء او ينتقل فيها لانتقالها ويتبعض فيها على اقدرها ويزول عنها عند فنائها جل وعز عن ذلك وقد نزع بذلك بعض اهل الضلال فزعموا ان الله فى كل مكان بنفسه كائنا كما هو على العرش لا فرقان بين ذلك ثم أحالوا فى النفى

---

(١) أى المحاسبى .

بعد تثبيت ما يجوز عليه فى قولهم ما نفوه لأن كل من يثبت شيئا فى المعنى ثم نفاه بالقول لم يغن عنه نفيه بلسانه واحتجوا بهذه الآيات أن الله تعالى فى كل شىء بنفسه كائنا ثم نفوا معنى ما أثبتوا فقالوا : لا كالشىء فى الشىء .

قال « أبو عبدالله [1] لنا قوله « حتى نعلم - وسيرى الله - وإنا معكم مستمعون » فإنما معناه حتى يكون الوجود فيعلمه موجوداً ويسمعه مسموعا ويبصره مبصراً لا على استحداث علم ولا سمع ولا بصر ، وأما قوله « إذا أردنا » إذا جاء وقت كون المراد فيه وان قوله « على العرش استوى » « وهو القاهر فوق عباده » الآية « أءمنتم من فى السماء » « إذا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا » فهذا وغيره مثل قوله « تعرج الملائكة والروح إليه » « إليه يصعد الكلم الطيب » هذا منقطع يوجب انه فوق العرش فوق الأشياء كلها منزه عن الدخول فى خلقه لا يخفى عليه منهم خافية لأنه ابان فى هذه الآيات انه اراد انه بنفسه فوق عباده لأنه قال « اءمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض » يعنى فوق العرش ، والعرش على السماء لان من قد كان فوق كل شىء على السماء فى السماء وقد قال مثل ذلك فى قوله (فسيحوا فى الأرض) يعنى على الأرض لا يريد الدخول فى جوفها وكذلك قوله « يتيهون فى الأرض » يعنى على الأرض لا يريديد الدخول فى جوفها وكذلك قوله « لأصلبنكم فى جذوع النخل » يعنى فوقها عليها وقال « اءمنتم من فى السماء » ثم فصل فقال « ان يخسف بكم الأرض » ولم يصل فلم يكن لذلك معنى إذا فصل قوله « من فى السماء » ثم استأنف التخويف بالخسف إلا انه على عرشه فوق السماء وقال تعالى « يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه » وقال « تعرج الملائكة والروح اليه » فبين عروج الأمر وعروج الملائكة ثم وصف وقت صعودها بالارتفاع

---

(١) أى المحاسبى

صاعدة إليه فقال « فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، فقال صعودها إليه وفصله من قوله إليه كقول القائل أصعد إلى فلان فى ليلة أو يوم وذلك أنه فى العلو وأن صعودك إليه فى يوم فإذا صعدوا إلى العرش فقد صعدوا إلى الله عز وجل ، وأن كانوا لم يروه ولم يساووه فى الارتفاع فى علوه فإنهم صعدوا من الأرض وعرجوا بالأمر إلى العلو قال تعالى « بل رفعه الله إليه » ولم يقل عنده وقال فرعون « ياهامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى » ثم استأنف الكلام فقال « وإنى لأظنه كاذباً » فيما قال لى أن إلهه [١] فوق السموات فبين الله سبحانه وتعالى أن فرعون ظن بموسى أنه كاذب فيما قال وعمد[١] لطلبه حيث قاله مع الظن بموسى أنه كاذب ~~ولو أن موسى قال أنه كاذب~~ ولو أن موسى قال أنه فى كل مكان بذاته لطلبه فى بيته أو فى بدنه أو حشه فتعالى الله عن ذلك ولم يجهد نفسه ببنيان الصرح .

قال أبو عبد الله [٢] وأما الآى التى يزعمون أنها قد وصلها ولم يقطعها كما قطع الكلام الذى أراد به أنه على عرشه فقال « ألم تر أن الله يعلم ما فى السماوات وما فى الأرض » فأخبر بالعلم ثم اخبر أنه مع كل مناج ثم ختم بالعلم بقوله « إن الله بكل شىء عليم » فبدأ بالعلم وختم بالعلم فبين أنه أراد أن يعلمهم حيث كانوا لا يخفون عليه ولا يخفى عليه مناجاتهم ولو اجتمع القوم فى أسفل ، وناظر إليهم فى العلو فقال : إنى لم أزل أراكم واعلم مناجاتكم لكان صادقاً ولله المثل الأعلى أن يشبه الخلق ، فإن أبوا إلا ظاهر التلاوة وقالوا : هذا منكم دعوى خرجوا عن قولهم فى ظاهر التلاوة لأن من هو مع الاثنين فأكثر ، هو معهم لا فيهم ومن كان مع شىء خلا جسمه ، وهذا خروج من قولهم وكذلك قوله تعالى « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ، لأن ما قرب من الشىء ليس هو فى الشىء ففى ظاهر التلاوة على

---

(١) ن : وعد .   (٢) أى المحاسبى .

دعواهم أنه ليس فى حبل الوريد وكذلك قوله ﴿ وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله ﴾ لم يقل فى السماء ثم قطع كما قال ﴿ أءمنتم من فى السماء ﴾ ثم قطع فقال ﴿ أن يخسف بكم الأرض ﴾ فقال ﴿ وهو الذى فى السماء إله ﴾ يعنى إله أهل السماء وإله أهل الأرض وذلك موجود فى اللغة تقول : فلان أمير فى خراسان ، وأمير فى بلخ ، وأمير فى سمرقند وإنما هو فى موضع واحد ويخفى عليه ما وراه فكيف العالى فوق الأشياء لا يخفى عليه شىء من الأشياء يدبره فهو إله فيهما إذ كان مدبراً لهما وهو على عرشه وفى كل شىء تعالى عن الأشياء والأمثال » اهـ .

وقال الإمام [١] أبو عبدالله محمد بن خفيف [٢] فى كتابه الذى سماه اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات قال فى آخر خطبته فاتفقت أقوال المهاجرين والأنصار فى توحيد الله عز وجل ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه قولا واحداً وشرعاً ظاهراً وهم الذين نقلوا عن رسول الله ذلك صلى الله عليه وآله وسلم ذلك حتى قال « عليكم بسنتى » « وذكر الحديث [٣] وحديث لعن الله من أحدث حدثاً قال فكانت كلمة الصحابة على الاتفاق من غير اختلاف وهم الذين أمرنا بالأخذ

---

(١) الشيرازى شيخ أقليم فارس، صاحب الأحوال والمقامات المتمسك بالكتاب والسنة الفقية على مذهب الشافعى كان من أولاد الأمراء فتزهد توفى فى رمضان سنة ٣٧١ هـ اهـ من شذارات الذهب .

(٢) فى الأصل حنيف وهو خطأ .

(٣) يعنى حديث العرباض بن سارية وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فاوصنا قال « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وأن تأمر عليكم عبد وأنه من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومضلات الفتن فإن كل بدعة ضلالة » قال فى الترغيب والترهيب فى باب الترغيب فى اتباع الكتاب والسنة رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وقال الترمذى حسن صحيح اهـ .

عنهم إذ لم يختلفوا بحمد الله تعالى فى أحكام التوحيد وأصول الدين من الأسماء والصفات كما اختلفوا فى الفروع ، ولو كان منهم فى ذلك اختلاف لنقل إلينا كما نقل سائر الاختلاف فاستقر صحة ذلك عند خاصتهم وعامتهم حتى أدوا ذلك إلى التابعين لهم بإحسان فاستقر صحة ذلك عند العلماء المعروفين حتى نقلوا ذلك قرناً بعد قرن لأن الاختلاف كان عندهم فى الأصل كفر — ولله المنة .

« ثم إنى قائل — و بالله أقول — أنه لما اختلفوا [١] فى أحكام التوحيد وذكر الاسماء والصفات على خلاف منهج المتقدمين من الصحابة والتابعين فخاضوا فى ذلك من لم يعرفوا بعلم الآثار ولم يعقلوا قولهم بذكر الأخبار وصار معولهم على أحكام هوى حسن النفس المستخرجة من سوء الظن به على مخالفة السنة والتعلق منهم بآيات لم يسعدهم فيها ماوافق النفوس [٢] فتأولوا على ماوافق هواهم وصححوا بذلك مذهبهم احتجت [٣] إلى الكشف عن صفة المتقدمين ومأخذ المؤمنين ومنهاج الأولين خوفاً من الوقوع فى جملة أقاويلهم التى حذر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منه [٤] ومنع المستجيبين له حتى حذرهم .

ثم ذكر : أبو عبد الله [٥] خروج النبى صلى الله عليه وسلم وهم يتنازعون فى القدر وغضبه وحديث لا ألفين أحدكم [٦] وحديث ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة فإن [٧] الناجية ما كان عليه هو وأصحابه [٨] ثم قال فلزم الأمة قاطبة معرفة ما كان عليه الصحابة

---

(١) ن : أحدثو
(٢) ن : بحذف ما وافق وعلى كل فى الكلام نقص أو تحريف
(٣) جواب لما اختلفوا (٤) ن : أمته (٥) يعنى ابن خفيف
(٦) يعنى حديث أبى رافع مرفوعا « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمرى — مما أمرت به أو نهيت عنه — فيقول لا أدرى ، ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه » رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه والبيهقى فى دلائل النبوة قاله فى المشكاة .
(٧) ن : وأن . (٨) تقدم ص ١٣ .

ولم يكون الوصول إليه إلا من جهة التابعين لهم بإحسان ، المعروفين بنقل الأخبار ممن لا يقبل المذاهب المحدثة ، فيتصل ذلك قرناً بعد قرن ممن عرفوا بالعدالة والأمانة المحافظين على الأمة مالهم وما عليهم من إثبات السنة إلى أن قال ـ

« فأول مانبتدىء به ماأوردنا هذه المسألة من أجلها ذكر أسماء الله عز وجل فى كتابه وما بين صلى الله عليه وسلم من صفاته فى سنته وما وصف به عز وجل مما سنذكر قول القائلين بذلك مما لا يجوز لنا فى ذلك أن نرده إلى أحكام عقولنا بطلب الكيفية بذلك ومما قد أمرنا بالاستسلام له ـ إلى أن قال :

« ثم ان الله تعرف إلينا بعد إثبات الوحدانيه والإقرار بالألوهية ان ذكر تعالى فى كتابه بعد التحقيق بما بدأ من أسمائه وصفاته وأكد عليه السلام بقوله فقبلوا منه كقبولهم لأوائل التوحيد من ظاهر قوله لا إله إلا الله إلى أن قال باثبات نفسه بالتفصيل من المجمل فقال : لموسى عليه السلام (واصطنعتك لنفسى وقال (ويحذركم الله نفسه) ولصحة ذلك واستقرار ما جاء به المسيح عليه السلام فقال (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك) وقال عز وجل (كتب ربكم على نفسه الرحمة) واكد عليه السلام صحة إثبات ذلك فى سنته فقال : « يقول الله عز وجل : من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى » : وقال : كتب كتاباً بيده على نفسه « إن رحمتى غلبت غضبى » وقال سبحان الله رضى نفسه » وقال فى محاجة آدم لموسى « انت الذى اصطفاك الله واصطنعك لنفسه ، فقد صح بظاهر قوله إنه اثبت لنفسه نفساً واثبت له الرسول ذلك فعلى من صدق الله ورسوله اعتقاد ما اخبر به عن نفسه ويكون ذلك مبنياً على ظاهر قوله ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ .

ثم قال « فعلى المؤمنين خاصتهم وعامتهم قبول كل ماورد عنه عليه السلام بنقل العدل عن العدل حتى يتصل به صلى الله عليه وسلم وإن مما قضى الله علينا فى كتابه

ووصف به نفسه ووردت السنة بصحة ذلك أن قال «الله نور السموات والأرض» ثم قال عقيب ذلك «نور على نور» و بذلك دعاه صلى الله عليه وسلم «أنت نور السموات والأرض» ثم ذكر حديث أبى موسى «حجابه النور – أو النار – لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه» وقال : سبحات وجهه جلاله ونوره ، نقله عن الخليل وأبى عبيد – وقال «عبد الله ابن مسعود : نور السموات نور وجهه.

ثم قال :[١] «ومما ورد به النص أنه حى وذكر قوله تعالى «الله لا إله إلا هو الحى القيوم» والحديث «ياحى ياقيوم برحمتك أستغيث» قال : ومما تعرف الله إلى عباده أن وصف نفسه ان له وجها موصوفا بالجلال والأكرام فاثبت لنفسه وجها – وذكر[١] الآيات.

ثم ذكر[١] حديث أبى موسى المتقدم فقال فى هذا الحديث من أوصاف الله عز وجل لا ينام موافق لظاهر الكتاب «لا تأخذه سنة ولا نوم» وأن له وجها موصوفا بالأنوار ، وأن له بصرا كما علمنا فى كتابه أنه سميع بصير – ثم ذكر[١] الأحاديث فى اثبات الوجه وفى اثبات مع السمع والبصر والآيات الدالة على ذلك – ثم قال[١] : «ثم أن الله تعالى تعرف إلى عباده المؤمنين أن قال له يدان قد بسطهما بالرحمة وذكر الأحاديث فى ذلك ثم ذكر[١] شعر اميه[٢] بن أبى الصلت ثم ذكر[١] حديث «يلقى فى النار وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع فيها رجله» وهى رواية البخارى وفى رواية أخرى يضع عليها قدمه[٣] ثم ماروواه مسلم البطين عن عن ابن عباس . أن الكرسى موضع القدمين وأن العرش لا يقدر قدره إلا الله؟ وذكر[١] قول مسلم البطين نفسه وقول السدى وقول وهب بن منبه وأبى مالك و بعضهم يقول : موضع قدميه و بعضهم يقول واضع رجليه عليه.

---

(١) ابن خفيف . (٢) تقدم ص ٩ . (٣) الروايتان فى تفسير سورة ق من صحيح البخارى .

ثم قال « فهذه الروايات قد رويت عن هؤلاء من صدر هذه الأمة موافقة لقول النبي صلى الله عليه وسلم متداولة فى الأقوال ومحفوظة فى الصدر ولا ينكر خلف عن السلف ولا ينكر عليهم أحد من نظرائهم ، نقلها الخاصة والعامة مدونة فى كتبهم إلى أن حدث فى آخر الأمة من قلل الله عددهم ممن حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مجالستهم ومكالمتهم وأمرنا أن لا نعود مرضاهم ولا نشيع جنائزهم فقصد هؤلاء إلى هذه الروايات فضربوها بالتشبيه وعمدوا إلى الأخبار فعملوا فى دفعها إلى أحكام المقاييس وكفر المتقدمين وأنكروا على الصحابة والتابعين وردوا على الأئمة فضلوا واضلوا عن سواء السبيل .

ثم ذكر المأثور عن ابن عباس وجوابه لنجدة الحرورى ثم حديث الصورة وذكر[1] أنه صنف فيه كتابا مفردا واختلاف الناس فى تاويله ثم قال « وسنذكر أصول السنة وماورد من الاختلاف فيما نعتقده فيما خالفنا فيه أهل الزيغ وماوافقنا فيه أصحاب الحديث من المثبتة إن شاء الله ثم ذكر[1] الخلاف فى الامامة واحتج عليها وذكر اتفاق المهاجرين والأنصار على تقديم الصديق وأنه أفضل الأمة ثم قال[1] « وكان الاختلاف فى خلق الأفعال هل هى مقدرة أم لا ؟ قال[1] « وقولنا فيها أن أفعال العباد مقدرة معلومة وذكر[1] اثبات القدر ثم ذكر[1] الخلاف فى أهل الكبائر ومسألة الاسماء والأحكام وقال[1] « قولنا فيها أنهم مؤمنون على الاطلاق وأمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم وقال « اصل الايمان موهبة يتولد منها أفعال العباد فيكون أصل التصديق والاقرار والأعمال وذكر[1] الخلاف فى زيادة الايمان ونقصانه وقال[1] « قولنا أنه يزيد وينقص قال[1] « ثم كان الاختلاف فى القرآن مخلوقا وغير مخلوق فقولنا وقول أئمتنا أن القرآن كلام الله غير مخلوق وأنه صفة الله منه بدأ قولا وإليه يعود حكما ثم ذكر : الخلاف فى الرؤية وقال : « قولنا وقول أئمتنا فيما نعتقد أن الله يرى فى القيامة وذكر[1] الحجة .

---

(١) أى ابن خفيف .

ثم قال[1] : اعلم رحمك الله أنى ذكرت أحكام الاختلاف على ما ورد من ترتيب المحدثين فى كل الأزمنة وقد بدأت أن أذكر أحكام الجمل من العقود فنقول « ونعتقد أن الله عز وجل له عرش وهو على عرشه فوق سبع سمواته بكل أسمائه وصفاته كما قال (الرحمن على العرش استوى - يدبر الأمر من السماء إلى الأرض) ولا نقول أنه فى الأرض كما هو فى السماء على عرشه لأنه عالم بما يجرى على عباده ثم يعرج إليه - إلى أن قال[1] «ونعتقد أن الله تعالى خلق الجنة والنار وانهما مخلوقتان للبقاء لا للفناء - إلى أن قال « ونعتقد أن النبى صلى الله عليه وسلم عرج بنفسه إلى سدرة المنتهى - إلى أن قال « ونعتقد أن الله قبض قبضتين فقال : هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار « ونعتقد أن للرسول صلى الله عليه وسلم حوضاً ونعتقد أنه أول شافع وأول مشفع وذكر الصراط والميزان والموت ، وأن المقتول قتل بأجله واستوفى رزقه .

إلى أن قال . « ومما نعتقد أن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا فى ثلث الليل الآخر فيبسط يده فيقول «ألا هل من سائل» الحديث[2] وليلة من شعبان وعشيه عرفة وذكر الحديث[3] فى ذلك - قال « ونعتقد أن الله تعالى كلم موسى تكليما واتخذ ابراهيم خليلا وأن الخلة غير الفقر لا كما قال أهل البدع ونعتقد أن الله تعالى خص محمدا صلى الله عليه وسلم بالرؤية واتخذه خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ونعتقد أن الله تعالى اختص بمفتاح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله (إن الله عنده علم الساعة) الآية ونعتقد المسح على الخفين ثلاثا للمسافر ، ويوما ، وليلة للمقيم ونعتقد الصبر على السلطان من قريش ما كان من جور أو عدل ما أقام الصلاة من الجمع والأعياد ؛ والجهاد معهم ماض إلى يوم القيامة والصلاة فى الجماعة حيث ينادى لها واجب إذا لم يكن عذر أو مانع والتراويح سنة ونشهد أن من ترك الصلاة عمدا فهو

(١) أى ابن حفيف (٢) وهو صحيح البخارى - فى مواضع - منها فى قيام الليل والتهجد وفى الأدعية وغيرها (٣) ذكر المنذرى احاديثهما فى فضل شعبان وليلة نصفه ص ٨٠ ج٢ وفى الترغيب فى الوقوف بعرفة ص١٢٦ ج٢ طبعة منير .

كافر والشهادة والبراءة بدعة والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة ولا ننزل أحدا جنة ولا نارا حتى يكون الله ينزلهم والمراء والجدال فى الدين بدعة ونعتقد أن ماشجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم إلى الله ونترحم على عائشة ونترضى عنها والقول فى اللفظ والملفوظ وكذلك فى الاسم والمسمى بدعة والقول فى الإيمان مخلوق أو غير مخلوق بدعة .

« واعلم أنى ذكرت اعتقاد أهل السنة على ظاهر ماورد عن الصحابة والتابعين مجملا من غير استقصاء إذ تقدم القول من مشائخنا المعروفين من أهل الابانة والديانة إلا أنى أحببت أن أذكر عقود أصحابنا المتصوفة [1] فيما أحدثته طائفة نسبوا إليهم ما قد تخرصوا من القول بما نزه الله تعالى المذهب وأهله من ذلك إلى أن قال [2] وقرأت لمحمد بن جرير الطبرى فى كتاب سماه التبصير كتب بذلك إلى أهل طبرستان فى اختلاف عندهم وسألوه أن يصنف لهم ما يعتقده ويذهب إليه فذكر فى كتابه اختلاف القائلين برؤية الله تعالى فذكر عن طائفة إثبات الرؤية فى الدنيا والآخرة ونسب هذه المقالة إلى الصوفية قاطبة لم يخص طائفة فبين أن ذلك على جهالة منه بأقوال المخلصين منهم وكان من نسب إليه ذلك القول بعد أن ادعى على الطائفة ابن أخت [3] عبد الواحد بن زيد [4] ـ والله أعلم محله عند المخلصين فكيف بابن أخته وليس إذا أحدث الزائغ فى نحلته قولا نسب إلى الجملة ، كذلك فى الفقهاء والمحدثين ليس من أحدث قولا فى الفقه وليس فيه حديث يناسب ذلك ، ينسب ذلك إلى جملة الفقهاء والمحدثين .

واعلم أن لفظ الصوفية وعلومهم تختلف فيطلقون ألفاظهم على موضوعات لهم ومرموزات وإشارات تجرى فيما بينهم فمن لم يداخلهم على التحقيق ونازل ما هم عليه رجع عنهم وهو خاسىء وحسير .

ثم ذكر [5] اطلاقهم لفظ الرؤية بالتقييد فقال كثيرا مايقولون رأيت الله يقول

---

(١) ن : المتصرفة (٢) أى ابن خفيف (٣) ن : اخته وهى خطا ، ون : ثم من كان بعد ما ادعى نسبة إلى ابن اخت . (٤) البصرى الزاهد شيخ الصوفية كان ممن ادرك الحسن واخذ عنه له ترجمة فى الميزان ولسانه فيها جرحه وتعديله فراجعها إن شئت . (٥) ابن خفيف .

وذكر عن جعفر بن محمد قوله لما سئل هل رأيت الله حين عبدته قال رأيت الله ثم عبدته فقال السائل كيف رأيته فقال لم تره الأبصار[1] بتحديد الاعيان ولكن رؤية القلوب بتحقيق الأيقان ثم قال : « وإنه تعالى يرى فى الآخرة كما أخبر فى كتابه وذكره رسوله صلى الله عليه وسلم ، هذا قولنا وقول أئمتنا دون الجهال من أهل الغباوة فينا ، وإن مما نعتقده أن الله حرم على المؤمنين دماءهم وأموالهم وأعراضهم وذكر ذلك فى حجة الوداع فمن زعم أنه يبلغ مع الله إلى درجة يبيح الحق له ماحظر على المؤمنين إلا المضطر على حال يلزمه إحياء النفس لو بلغ العبد ما بلغ من العلم والعبادات فذلك كفر بالله وقائل ذلك قائل بالاباحة وهم المنسلخون من الديانة وأن مما نعتقده ترك اطلاق تسمية العشق على الله تعالى وبين أن ذلك لايجوز لاشتقاقه ولعدم ورود الشرع به وقال أدنى مافيه أنه بدعة وضلالة وفيما نص الله من ذكر المحبة كفاية وأن مما نعتقده أن الله لا يحل فى المرئيات وأنه المنفرد بكمال أسمائه وصفاته بائن من خلقه مستو على عرشه وأن القرآن كلامه غير مخلوق حيث ما تلى ودرس وحفظ ، ونعتقد أن الله تعالى اتخذ ابراهيم خليلا واتخذ نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم خليلا وحبيباً والخلة لهما منه على خلاف ما قاله المعتزلة أن الخلة الفقر والحاجة ـ إلى أن قال :

« والخلة والمحبة صفتان لله هو موصوف بهما ولا تدخل أوصافه تحت التكييف والتشبيه ، وصفات الخلق من المحبة والخلة جائز عليها الكيف فأما صفاته تعالى فمعلومة فى العلم ، وموجودة فى التعريف قد انتفى عنهما التشبيه فالإيمان به واجب وجسم الكيفية عن ذلك ساقط .

« ومما نعتقده أن الله أباح المكاسب والتجارات والصناعات وإنما حرم الله الغش والظلم وأما من قال بتحريم تلك المكاسب فهو ضال ومضل مبتدع إذ ليس الفساد والظلم والغش من التجارات والصناعات فى شىء ، وإنما حرم الله ورسوله الفساد لاالكسب والتجارات فإن ذلك على أصل الكتاب والسنة جائز

---

(١) ن : العيون .

إلى يوم القيامة وأن مما نعتقده أن الله (لا) يأمر بأكل الحلال ثم يعدمهم الوصول إليه من جميع الجهات ، لأن ما طالبهم به موجود إلى يوم القيامة ؛ والمعتقد أن الأرض تخلو من الحلال والناس يتقلبون فى الحرام فهو مبتدع ضال إلا أنه يقل فى موضع ويكثر فى موضع لأنه مفقود من الأرض ومما نعتقده أنا إذا رأينا من ظاهر جميل لا نتهمه فى مكسبه وماله وطعامه ؛ جائز أن يؤكل طعامه ، والمعاملة فى تجارته فليس علينا الكشف عما قاله[1] فإن سأل سائل على سبيل الاحتياط جاز إلا من داخل الظلمة « ومن ينزع عن الظلم وأخذ الأموال بالباطل ومعه غير ذلك فالسؤال والتوقى كما سأل الصديق غلامه فإن كان معه من المال سوى ذلك مما هو خارج عن تلك الأموال فاختلطا فلا يطلق عليه اسم الحلال ولا الحرام إلا أنه مشتبه فمن سأل استبرأ لدينه كما فعل الصديق وأجاز أن مسعود وسلمان الأكل منه وعليه التبعة ، والناس طبقات والدين الحنيفية سمحة .

وأن مما نعتقد أن العبد مادام أحكام الدار جارية (عليه) فلا يسقط عنه الخوف والرجاء وكل من ادعى إلا من فهو جاهل بالله وبما أخبر به عن نفسه (ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) وقد أفردت كشف عورات من قال بذلك ، ونعتقد أن العبودية لا تسقط عن العبد ما عقل وعلم ما له وما عليه يبين على أحكام القوة والاستطاعة إذ لم يسقط الله ذلك عن الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ومن زعم أنه قد خرج عن رق العبودية إلى فضاء الحرية باسقاط العبودية والخروج إلى أحكام الأحدية المسدية بعلائق الأخوية فهو كافر لا محالة إلى من اعتراه علة أو رأفة فصار معتوهاً أو مجنوناً أو مبرسماً وقد اختلط عقله أو لحقه غشية ارتفع عنه بها أحكام العقل وذهب عنه التمييز والمعرفة فذلك خارج عن الملة مفارق للشريعة ، ومن زعم الأشراف على الخلق بعلم مقاماتهم ومقدارهم عند الله بغير الوحى المنزل من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خارج عن الملة ، ومن ادعى أنه يعرف

---

(١) ن : أن ماله (٢) ن : بعلائق .

مآل الخلق ومنقلبهم وعلى ماذا يموتون عليه ويختم لهم بغير الوحي من قول الله وقول رسوله فقد باء بغضب من الله . والفراسة حق على أصول ما ذكرناه وليس ذلك مما رسمناه في شيء ، ومن زعم أن صفاته تعالى بصفاته ويشير في ذلك إلى غير آية العظمة والتوفيق والهداية وأشار إلى صفاته عز وجل القديمة فهو حلو إلى قائل باللاهوتية[1] والإلتحام[2] وذلك كفر لامحالة وتعتقد أن الأرواح كلها مخلوقة ومن قال أنها غير مخلوقة فقد ضاهى قول النصارى النسطورية في المسيح وذلك كفر بالله العظيم : ومن قال إن شيئاً من صفات الله حال في العبد وقال[3] بالتبعيض على الله فقد كفر ، والقرآن كلام الله ليس بمخلوق ولاحال في مخلوق ، وأنه كيفما ماتلى وقرىء وحفظ فهو صفة الله عز وجل وليس الدرس من المدروس ولا التلاوة من المتلو لأنه عز وجل بجميع صفاته وأسمائه غير مخلوق ، ومن قال بغير ذلك فهو كافر ، ونعتقد أن القراءة الملحنة بدعة وضلالة ، وأن القصائد بدعة ومجراها على قسمين فالحسن من ذلك من ذكر آلاء الله ونعمائه وإظهار نعت[4] الصالحين وصفة المتقين فذلك جائز وتركه والإشتغال بذكر الله والقرآن والعلم أولى به ، وما جرى على الوصف المرئيات ونعت المخلوقات فاستماع ذلك كفر وإستماع الغناء والربعيات[5] على الله كفر والرقص بالايقاع ونعت الرقاصين (على) أحكام الدين فسق ، وعلى أحكام التواجد والغناء لهو ولعب ، وحرام على كل من يسمع القصائد والربعيات[6] الملحنة[7] الجائى بين أهل الأطباع على أحكام الذكر إلا لمن تقدم له العلم بأحكام التوحيد ومعرفة أسمائه وصفاته وما يضاف إلى الله تعالى من ذلك مالا يليق به عز وجل مما هو منزه عنه فيكون استماعه كما قال (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) الآية ، وكل من جهل ذلك وقصد إستماعه على الله على غير تفصيله فهو كفر لا محالة فكل من جمع القول وأصغى بالإضافة إلى الله فغير جائز إلا لمن عرف بما وصفت من ذكر الله ونعمائه وما هو موصوف به عز وجل

(١) ن : بالاهومية (٢) ن : والتخام (٣) في التبعيض . (٤) نعمة .
(٥ ، ٦) الربيعيات (٧) المنحة .

مما ليس للمخلوقين فيه نعت ولا وصف بل ترك ذلك أولى وأحوط والأصل فى ذلك أنها بدعه والفتنة فيها غير مأمونة على استماع الغناء والربعيات بدعة وذلك مما انكره المطلبى[١] ومالك والثورى ويزيد بن هارون وأحمد بن حنبل واسحاق والإقتداء بهم أولى من الاقتداء بمن لا يعرفون فى الدين ولا لهم قدم عند المخلصين ، و بلغنى أنه قيل لبشر بن الحارث[٢] أن أصحابك قد أحدثوا شيئاً يقال له القصائد قال مثل ايش؟ قال مثل قوله * اصبرى[٣] يا نفس حتى تسكنى دار الجليل * فقال حسن وأين يكون هؤلاء الذين يستمعون ذلك؟ قال قلت ببغداد فقال : كذبوا ، والله الذى لا إله غيره لا يسكن ببغداد من يستمع ذلك قال[٤] أبو عبد الله ومما نقول وهو قول أئمتنا أن الفقير إذا احتاج وصبر ولم يتكلف إلى وقت يفتح الله له كان أعلى ، فمن عجز عن الصبر كان السؤال أولى به على قوله صلى الله عليه وسلم «لأن يأخذ أحدكم حبله» الحديث[٥] ونقول أن ترك المكاسب غير جائز إلا بشرائط موسومة من التعفف والإستغناء عما فى أيدى الناس ؛ ومن جعل السؤال حرفة وهو صحيح فهو مذموم فى الحقيقة خارج[٦] ونقول أن[٧] المستمع إلى الغناء والملاهى فإن ذلك كما قال عليه السلام « الغناء ينبت النفاق فى القلب » وإن لم يكفر فهو فسق لا محالة والذى نختار قول أئمتنا أن ترك المراء فى الدين والكلام فى الإيمان مخلوق أو غير مخلوق ومن زعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم واسط يؤدى وأن المرسل إليهم أفضل فهو كافر بالله ومن قال باسقاط الوسائط على الجملة فقد كفر اهـ[٨] .

ومن متأخريهم الشيخ الإمام أبو محمد عبد القادر بن أبى صالح الجيلانى[٩] قال فى كتاب الغنيمة . أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار

---

(١) أى الشافعى (٢) المعروف بالحافى أحد رجال الطريقة المتوفى سنة ٢٢٦ هـ .

(٣) ن : اخبرى (٤) أى ابن خفيف (٥) تمامه : فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه « رواه البخارى فى باب كسب الرجل وعمله بيده من كتاب البيوع فى صحيحه .

(٦) يعنى عن طريقة الصوفية (٧) ن : إذ (٨) أى كلام ابن خفيف .

(٩) قال الذهبى فى العلو : شيخ الإسلام سيد الوعاظ توفى سنة ٥٦١ هـ .

فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد ـ إلى أن قال[١] : وهو بجهة العلو مستو على العرش محتو على الملك محيط علمه بالأشياء « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ـ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » ولا يجوز وصفه بأنه فى كل مكان بل يقال أنه فى السماء على العرش كما قال « الرحمن على العرش استوى » وذكر[٢] آيات وأحاديث إلى أن قال: وينبغى إطلاق صفة الإستواء من غير تأويل وأنه استواء الذات على العرش قال : وكونه على العرش مذكور فى كل كتاب أنزله على كل نبى أرسل بلا كيف وذكر[٣] كلاماً طويلا لا يحتمله هذا الموضع وذكر[٤] فى سائر الصفات نحو هذا.

ولو ذكرت ما قاله العلماء فى ذلك لطال الكتاب جداً .

قال أبو عمر بن عبد البر : روينا عن مالك بن أنس وسفيان الثورى . سفيان ابن عيينة والأوزاعى ومعمر بن راشد فى أحاديث الصفات أنهم كلهم قالوا: امروها كما جاءت ؛ قال أبو عمر : ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم من نقل الثقات أو جاء عن أصحابه رضى الله عنهم فهو علم يدان به ؛ وما أحدث بعدهم ولم يكن له أصل فيما جاء عنهم فهو بدعة وضلالة ، وقال فى شرح الموطأ لما تكلم على شرح حديث النزول قال : هذا حديث ثابت من جهة النقل صحيح الإسناد ولا يختلف أهل الحديث فى صحته وهو منقول من طرق[٥] سوى هذه من أخبار العدول عن النبى صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على أن الله فى السماء على العرش استوى من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة وهو من حجتهم على المعتزلة فى قولهم : أن الله تعالى فى كل مكان بذاته المقدسة قال : والدليل على صحة ما قال أهل الحق قول الله ـ وذكر بعض الآيات ـ إلى أن قال : وهذا

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) أى الجيلانى .
(٥) طريق شواهده .

أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته لأنه اضطرار لم يوافقهم عليه أحد ولا انكره عليهم مسلم .

قال أبو عمر بن عبد البر أيضاً : أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا فى تأويل قوله « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، هو على العرش وعلمه فى كل مكان وما خالفهم فى ذلك من يحتج بقوله .

وقال أبو عمر أيضاً « أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها فى القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يجدون فيه صفة محصورة ـ وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة ويزعم أن من أقر بها مشبه وهم عند من أقربها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أئمة الجماعة .

فهذا كلام ابن عبد البر إمام أهل المغرب

وفى عصره الحافظ أبو بكر البيهقى مع توليه المتكلمين من أصحاب أبى الحسن الأشعرى وذبه عنهم قال فى كتاب الأسماء والصفات (باب) ما جاء فى إثبات اليدين صفتين لا من حيث الجارحة لورود خبر الصادق به قال تعالى « يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى » وقال « بل يداه مبسوطتان » وذكر الأحاديث الصحاح فى هذا الباب مثل قوله فى غير حديث ، فى حديث الشفاعة « يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده » ومثل قوله فى الحديث المتفق عليه « أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك الألواح بيده ، وفى لفظ ، وكتب لك التوراة بيده » ومثل ما فى صحيح مسلم « وغرس كرامة أوليائه فى جنة عدن بيده » ومثل قوله صلى الله عليه وسلم تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته

مغفرة نزلا لأهل الجنة[1] » وذكر أحاديث مثل قوله « بيدى الأمر » « والخير في[2] يديك » « والذى نفس محمد بيده » و « أن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل » وقوله « المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين » وقوله « يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوى الأرضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ » وقوله « يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما انفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما فى يمينه وعرشه على الماء وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع » وكل هذه الأحاديث فى الصحاح وذكر أيضا قوله « أن الله لما خلق آدم قال له ويداه مقبوضتان اختر أيهما شئت قال اخترت يمين ربى وكلتا يدى ربى يمين مباركة » وحديث « أن الله لما خلق آدم مسح على ظهره » إلى أحاديث أخرى ذكرها من هذا النوع

ثم قال البيهقى : أما المتقدمون من هذه الأمة فإنهم لم يفسروا ما كتبنا من الآيات والأخبار فى هذا الباب وكذلك قال فى الاستواء على العرش وسائر الصفات الخبرية مع أنه يحكى قول بعض المتأخرين :

وقال القاضى أبو يعلى[3] فى كتاب إبطال التأويل لا يجوز رد هذه الأخبار ولا التشاغل بتأويلها والواجب حملها على ظاهرها وأنها صفات الله لا تشبه (صفات) سائر الموصوفين بها من سائر الخلق ولا يعتقد التشبيه فيها لكن على ماروى عن الإمام أحمد وسائر الأئمة ـ وذكر بعض كلام الزهرى ومكحول ومالك والثورى

---

(١) رواه البخارى فى باب يقبض الله الأرض من كتاب الرقاق من صحيحه .

(٢) بيديك .   (٣) عالم العراق أبو يعلى محمد الحسين بن الفراء البغدادى الحنبلى كان آية فى معرفة مذهب الإمام أحمد صنف التصانيف الفائقة توفى سنة ٤٥٨ هـ من العلو للذهبي .

والأوزاعى والليث وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن عيينة والفضيل بن عياض ووكيع وعبد الرحمن بن مهدى وأسود بن سالم واسحاق بن راهوية وابى عبيد ومحمد بن جرير الطبرى وغيرهم فى هذا الباب ـ وفى حكاية الفاظهم طول ـ إلى أن قال ويدل على ابطال التأويل أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفوها عن ظاهرها فلو كان التأويل سائغا لكانوا أسبق إليه لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة .

وقال أبو الحسن على ابن اسماعيل الأشعرى [1] المتكلم صاحب الطريقة المنسوبة إليه فى الكلام فى كتابه الذى صنفه فى اختلاف المصلين ، ومقالات الإسلاميين ـ وذكر فرق الروافض والخوارج والمرجئة والمعتزلة [2] وغيرهم ثم قال (مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جملة) قول أصحاب الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله و بما جاء عن الله تعالى وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون شيئا من ذلك ، وأن الله واحد أحد فرد صمد لا إله غيره لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق والنار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ، وأن الله على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وأن له يدين بلا كيف كما قال (خلقت بيدى) وكما قال (بل يداه مبسوطتان) وأن له عينين بلا كيف كما قال (تجرى بأعيننا) . وأن له وجها كما قال (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وأن أسماء الله تعالى لا يقال أنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج وقروا أن لله علما كما قال (أنزله بعلمه) وكما قال (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) وأثبتوا له السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة وأثبتوا لله القوة كما قال (أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد

---

(١) توفى سنة ٣٢٤ هـ .   (٢) يأتى بيانهم ص ٧٢ .

منهم قوة ﴾ وذكر مذهبهم فى القدر ــ إلى أن قال ويقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق والكلام فى اللفظ والوقف ، من قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق ويقرون أن الله يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لأنهم عن الله محجوبون قال عز وجل (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وذكر قولهم فى الإسلام والإيمان والحوض والشفاعة وأشياء ــ إلى أن قال : ويقرون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ولا يقولون مخلوق ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار ــ إلى أن قال « وينكرون الجدل والمراء فى الدين والخصومة والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم ويسلمون الروايات الصحيحة ولما جاءت به الآثار الصحيحة التى جاء بها الثقات عدل عن عدل حتى ينتهى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولون كيف ولا لم لأن ذلك بدعة ــ إلى أن قال : ويقرون أن الله يجىء يوم القيامة كما قال تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) ــ إلى أن قال ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة ومتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر فى الفقه مع الاستكانة والتواضع وحسن الخلق مع بذل المعروف ، وكف الأذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المآكل والمشارب قال « فهذه جملة ما يأمرون به ويستسلمون إليه ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله وهو المستعان » .

وقال الأشعرى أيضاً فى اختلاف أهل القبلة فى العرش فقال « قال أهل السنة وأصحاب الحديث ليس بجسم ولا يشبه الأشياء وأنه استوى على العرش كما قال (الرحمن على العرش استوى) ولا نتقدم بين يدى الله فى القول بل نقول استوى بلا كيف وأن له وجهاً كما قال (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)

وأن له يدين كما قال (خلقت بيدى) وأن له عينين كما قال (تجرى بأعيننا) وأنه يجىء يوم القيامة هو وملائكته كما قال (وجاء ربك والملك صفا صفا) وأنه ينزل إلى سماء الدنيا كما جاء فى الحديث ولم يقولوا شيئا ما وجدوه فى الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت المعتزلة: إن الله استوى على العرش بمعنى استولى وذكر مقالات آخر.

وقال أبو الحسن الأشعرى فى كتابه الذى سماه الأبانة فى أصول الديانة ـ وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه وعليه يعتمدون فى الذب عنه عند من يطعن عليه ـ فقال: (فصل فى إبانة قول أهل الحق والسنة) فإن قال قائل قد انكرتم قول المعتزلة(١) والقدرية(٢) والجهمية(٣) والحرورية(٤) والرافضة(٥) والمرجئة(٦) فعرفونا قولكم الذى به تقولون وديانتكم التى بها تدينون (قيل له) قولنا الذى نقول به وديانتنا التى ندين بها التمسك بكلام ربنا وسنة نبينا وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل ـ نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون، ولما خالف قوله مخالفون، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذى أبان الله به الحق ورفع به الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من إمام مقدم وجليل معظم وكبير مفهم.

---

(١) فرقة من المبتدعة تنكر صفات الله ورؤيته.

(٢) من ينكرون القدر ويقولون الأمر أنف.

(٣) أتباع جهم ينكرون صفات الله.

(٤) هم الخوارج منسوبون إلى حروراء محل بالعراق اعتصموا به لما خرجوا على على رضى الله عنه.

(٥) الرافضة هم الشيعة سموا بذلك لرفضهم زيد بن على بن الحسين لما تولى أبا بكر وعمر

(٦) المرجئة هم من لا يدخل العمل فى الإيمان بل الإيمان عندهم هو التصديق، فقط ويقولون لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

جو اد
نني تصوير

وجملة قولنا أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاءوا به من عند الله وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نرد من ذلك شيئاً ؛ وأن الله واحد لا إله إلا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ؛ وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، وأن الساعة آتية ، وأن الله يبعث من فى القبور ، وأن الله مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وأن له وجها كما قال (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وأن له يدين بلا كيف كما قال (خلقت بيدى) وكما قال (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) وأن له عينين بلا كيف كما قال (تجرى بأعيننا) — وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالا ، وذكر نحو مما ذكر فى الفرق إلى أن قال « ونقول أن الإسلام أوسع من الإيمان وليس كل إسلام إيمانا . وندين بأن الله يقلب بين القلوب أصبعين من أصابع الله عز وجل وأنه عز وجل يضع السموات على أصبع والأرضين على أصبع كما جاءت الرواية الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [(١)] ـ إلى أن قال : وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ونسلم بالروايات الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التى رواها الثقات عدلا عن عدل حتى ينتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ إلى أن قال ونصدق بجميع الروايات التى أثبتها أهل النقل من النزول إلى سماء الدنيا وأن الرب عز وجل « يقول هل من سائل ؟ هل من مستغفر ؟ » وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافا لما قال أهل الزيغ والتضليل ونعود فيما اختلفنا فيه إلى كتاب ربنا ، وسنة نبينا ، وإجماع المسلمين وما كان فى معناه ولا نبتدع فى دين الله ما لم يأذن لنا به ولا نقول على الله ما لا نعلم ونقول أن الله يجىء يوم القيامة كما قال (وجاء ربك والملك صفا صفا) وأن الله يقرب من عباده كيف شاء كما قال

---

(١) تقدم لفظها وتخريجها فى حاشية ص ٢٧ .

(ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) وكما قال (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) .

إلى أن قال « وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقى مما لم نذكره بابا بابا »

ثم تكلم على أن الله يرى واستدل على ذلك ، ثم تكلم على أن القرآن غير مخلوق واستدل على ذلك ثم تكلم على من وقف فى القرآن وقال لا أقول إنه مخلوق ولا غير مخلوق ورد عليه .

ثم قال : (باب ذكر الاستواء على العرش) فقال إن قال قائل ما تقولون فى الاستواء ؟ قيل له : نقول أن الله مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وقال تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) قال تعالى (بل رفعه الله إليه) وقال تعالى (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه) وقال تعالى حكاية عن فرعون (يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً) كذب موسى فى قوله إن الله فوق السموات ، وقال تعالى (أءمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض) فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السموات قال (أءمنتم من فى السماء) لأنه مستوى على العرش الذى هو فوق السموات وكل ما علا فهو سماء فالعرش أعلى السموات وليس إذا قال (أءمنتم من فى السماء) يعنى جميع السماء وإنما أراد العرش الذى هو أعلى السموات ، ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السموات فقال تعالى (وجعل القمر فيهن نوراً) فلم يرد أن القمر يملؤهن وأنه فيهن جميعاً ، ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء لأن الله على العرش الذى هو فوق السموات فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش فيما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض .

ثم قال [١] (فصل) وقد قال القائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية أن معنى قوله (الرحمن على العرش استوى) أنه أستولى وقهر وملك وأن الله عز وجل فى كل مكان وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا فى الإستواء إلى القدرة ، فلو كان كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة لأن الله قادر على كل شىء والأرض فالله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما فى العالم ، فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الأستيلاء وهو عز وجل مستول على الأشياء كلها لكان مستويا على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار لأنه قادر على الأشياء مستول عليها ، وإذا كان قادراً على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول : إن الله مستو على الحشوش والأخلية لم يجز أن يكون الأستواء على العرش الأستيلاء الذى هو عام فى الأشياء كلها ،ووجب أن يكون معنى الأستواء يختص العرش دون الأشياء كلها وذكر [١] دلالات من القرآن والحديث والإجماع والعقل .

ثم قال : (باب الكلام فى الوجه والعينين والبصر واليدين) وذكر الآيات على ذلك ورد المتأولين لها بكلام طويل لا يتسع هذا الموضع لحكايته مثل قوله فإن سئلنا أتقولون لله يدان ؟ (قيل) نقول ذلك وقد دل عليه قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) وقوله تعالى (لما خلقت بيدى) وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله مسح ظهر آدم بيده ، وخلق جنة عدن بيده ، وكتب التوراة بيده » وقد جاء فى الخبر المذكور عن النبى صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم بيده وخلق جنة عدن بيده ، وكتب التوراة بيده، وغرس شجرة طوبى بيده ، ولا يجوز فى لسان العرب ولا فى عادة أهل الخطاب أن يقول القائل عملت كذا بيدى ويريد بها النعمة وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها وما يجرى مفهوما فى كلامها ومعقولا فى خطابها

---

(١) يعنى الأشعرى .

وكان لا يجوز فى خطاب أهل اللسان أن يقول القائل فعلت بيدى ويعنى بها النعمة بطل أن يكون معنى قوله تعالى (بيدى) النعمة وذكر كلاماً طويلا فى تقرير هذا ونحوه .

وقال القاضى أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى[1] المتكلم وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعرى ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده قال فى كتاب الإبانة تصنيفه « فإن قال فما الدليل على أن لله وجهاً ويداً ؟ قيل له قوله (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وقوله تعالى (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) فأثبت لنفسه وجهاً ويداً (فإن قال) فلم أنكرتم أن يكون وجه ويده جارحة ؟ إن كنتم لا تعقلون وجهاً ويداً إلا جارحة (قلنا) لا يجب هذا كما لا يجب إذا لم نعقل حياً عالماً قادراً إلا جسماً أن نقضى نحن وأنتم بذلك على الله سبحانه وتعالى ، وكما لا يجب فى كل شيء كان قائماً بذاته أن يكون جوهراً لأنا وإياكم لا نجد قائماً بنفسه فى شاهدنا إلا كذلك ، وكذلك الجواب لهم أن قالوا فيجب أن يكون علمه وحياته وكلامه وسمعه وبصره وسائر صفاته عرضا واعتلوا بالوجود .

وقال « فإن قال فهل تقولون أنه فى كل مكان ؟ (قيل له :) معاذ الله بل مستو على عرشه كما أخبر فى كتابه فقال (الرحمن على العرش استوى) وقال الله تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور) قال : ولو كان فى كل مكان لكان فى بطن الإنسان وفمه والحشوش والمواضع التى يرغب عن ذكرها ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خلق منها مالم يكن وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان ، ولصح أن يرغب إليه إلى نحو الأرض وإلى خلفنا وإلى يميننا وإلى شمالنا وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله .

---

(١) توفى سنة ٤٠٣ هـ له ترجمة طويلة فى تاريخ ابن خلكان فراجعها إن شئت .

وقال [١] أيضاً فى هذا الكتاب : صفات ذاته التى لم يزل ولا يزال موصوفا بها وهى الحياة ، والعلم ، والقدرة والسمع ، والبصر ، والكلام ، والأرادة ،والبقاء، والوجه والعينان ، واليدان والغضب والرضاء .

وقال فى كتاب التمهيد [٢] كلاما أكثر من هذا وكلامه وكلام غيره من المتكلمين فى مثل هذا الباب كثير لمن يطلبه وإن كنا مستغنين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام .

وملاك الأمر أن يهب الله للعبد حكمة وإيماناً بحيث يكون له عقل ودين حتى يفهم ويدين [٣] ثم نور الكتاب والسنة يغنيه عن كل شيء ولكن كثيراً من الناس قد صار منتسباً إلى بعض طوائف المتكلمين ومحسناً للظن بهم دون غيرهم ومتوهما أنهم حققوا فى هذا الباب ما لم يحققه غيرهم فلو أتى بكل آية ما تبعها حتى يؤتى بشيء من كلامهم ثم هم مع هذا مخالفون لأسلافهم غير متبعين لهم ،فلو أنهم أخذوا بالهدى الذى يجدونه فى كلام أسلافهم لرجى لهم مع الصدق فى طلب الحق أن يزدادوا هدى ومن كان لا يقبل الحق إلا من طائفة معينة ثم لا يتمسك بما جاءت به من الحق ففيه شبه من اليهود الذين قال الله فيهم (وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين) فإن اليهود قالوا لا نؤمن إلا بما أنزل علينا قال الله تعالى لهم (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين) أى إن كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم ، يقول سبحانه وتعالى لا لما جاءتكم به أنبياؤكم تتبعون ، ولا لما جاءتكم به سائر الأنبياء تتبعون ولكن إنما تتبعون أهواءكم ، فهذا حال من لم يتبع الحق لا من طائفته ولا من غيرها مع كونه يتعصب لطائفته بلا برهان من الله ولا بيان .

---

(١) أى الباقلانى (٢) ألفه لابن الملك عضد الدولة فنا خسرو .
(٣) أى يتدين .

وكذلك قال أبو المعالى[١] الجوينى فى كتابه الرسالة النظامية اختلف مسالك العلماء فى هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك فى آى الكتاب وما يصح من السنن، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الرب ـ فقال والذى نرتضيه رأياً وندين الله به عقداً[٢] اتباع سلف الأمة والدليل السمعى القاطع فى ذلك إجماع الأمة (وهو) حجة متبعة وهو مستند معظم الشريعة وقد درج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها ـ وهم صفوة الإسلام والمستقلون بأعباء[٣] الشريعة وكانوا لا يألون جهداً فى ضبط قواعد الملة والتواصى بحفظها وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها ـ فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغاً أو محتوماً لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع فحق على ذى الدين أن يعتقد تنزيه البارى عن صفات المحدثين ولا يخوض فى تأويل المشكلات ويكل معناها إلى الرب تعالى فليجر آية الاستواء أو المجىء وقوله ﴿ لما خلقت بيدى ـ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ وقوله ﴿ تجرى بأعيننا ﴾ وما صح من أخبار الرسول كخبر النزول وغيره على ما ذكرناه اهـ .

(قلت)[٤] وليعلم السائل أن الغرض من هذا الجواب ذكر ألفاظ بعض أئمة العلماء الذين نقلوا مذهب السلف فى هذا الباب وليس كل من ذكرنا شيئاً من قوله من المتكلمين وغيرهم يقول بجميع ما نقوله فى هذا وغيره ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به ، وكان معاذ بن جبل يقول فى كلامه المشهور عنه الذى رواه

---

(١) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف أبو المعالى بن أبى محمد الجوينى إمام الحرمين لمجاورته فيهما أربع سنوات ينشر العلم توفى سنة ٤٧٨ هـ .

(٢) عقيدا بفتح العين أى اعتقادا (٣) ن : المشتغلون باعلاء (٤) أى المصنف

أبو داود فى سننه ، اقبلوا الحق من كل من جاء به وإن كان كافراً ـ أو قال فاجراً ، وأحذروا زيغة الحكيم ، قالوا كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق ؟ قال إن على الحق نورا أو كلاما هذا معناه .

فأما تقرير ذلك بالدليل وإماطة ما يعرض من الشبهة وتحقيق الأمر على وجه يخلص إلى القلب ما يبرد به من اليقين ويقف على مواقف آراء العباد فى هذه المهامه ، فما تتبع له هذه الفتوى وقد كتبت شيئا من ذلك قبل هذا وخاطبت ببعض ذلك بعض من يجالسنا وربما أكتب إن شاء الله فى ذلك ما يحصل به المقصود

وجماع الأمر فى ذلك أن الكتاب والسنة يحصل منهما كال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه وقصد اتباع الحق وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد فى أسماء الله وآياته .

ولا يحسب الحاسب أن شيئاً من ذلك يناقض بعضه بعضا البتة مثل أن يقول القائل ما فى الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه فى الظاهر قوله (وهو معكم أينما كنتم) وقوله صلى الله عليه وسلم « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه[1] » ونحو ذلك فإن هذا غلط وذلك أن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما فى قوله سبحانه وتعالى (هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم أستوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شىء وهو معنا أينما كنا كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث الأوعال « والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه[2] » وذلك أن كلمة (مع) فى اللغة إذا طلقت فليس ظاهرها فى اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن

---

(١) قبل بكسر ففتح أى مقابله .

(٢) رواه الترمذى وحسنه كما فى العلو للذهبى ص١٧ .

يمين أو شمال فإذا قيدت بمعنى من المعانى دلت على المقارنة فى ذلك المعنى فإنه يقال : مازلنا نسير والقمر معنا أو النجم معنا أو يقال : هذا المتاع معى لمجامعته لك وإن كان فوق رأسك ؛ فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة ثم هـذه المعية تختلف أحكامها بحسب المراد فلما قال ﴿ يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها ﴾ إلى قوله ﴿ وهو معـكم أينما كنتم ﴾ دل ظاهر الخطـاب على أن حـكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليـكم شهيد عليـكم مهيمن عالم بـكم وهذا معنى قول السلف أنه معهم بعلمه وهـذا ظاهر الخطاب وحقيقته وكذلك فى قوله (ما يكـون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) إلى قوله (هو معهم أينما كانوا) الآية ولمـا قال النبى صلى الله عليه وسلم لصاحبه فى الغار ﴿ لا تحزن إن الله معنـا ﴾ كان هذا أيضاً حقا على ظاهره ودلت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الإطلاع والنصر والتأييد وكذلك قوله تعـالى (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وكذلك قوله لموسى وهارون (إننى معكما أسمع وأرى) هنا المعية على ظاهرها وحكمها فى هذه المواطن النصر والتأييد، وقد يدخل على صبى من يخيفه فيبكى ويشرف عليه أبوه من فوق السقف فيقول :لا تخف ، أنا معك أو أنا هنا ، أو أنا حاضر ، ونحو ذلك ينبه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع المـكروه ففرق بين معنى المعية ومقتضاها وربمـا صار مقتضاها من معنـاها فاختلف باختلاف المواضع فلفظ المعية قد استعمل فى الـكتاب والسنة فى مواضع يقتضى فى كل موضع أمورا لا يقتضيها فى الموضع الآخر (فاما) أن تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها وإن امتاز كل موضع بخاصية فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن يكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها ونظيرها من بعض الوجوه الربوبية والعبودية فإنها وإن اشتركت فى أصل الربوبية والتعبيد فلما قال (رب العالمين رب موسى وهارون)

كانت ربوبية موسى وهارون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق فإن من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره فقد ربه ورباه ربوبية وتربية أكمل من غيره وكذلك قوله (عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً) و (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) فإن العبد - تارة يعنى به المعبد فيعم الخلق كما فى قوله (إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً) وتارة يعنى به العابد فيخص ثم يختلفون ، فمن كان أعبد علماً وحالا كانت عبوديته أكمل فكانت الإضافة فى حقه أكمل مع أنها حقية فى جميع المواضع .

ومثل هذه الألفاظ يسميها بعض الناس مشككة لتشكك المستمع فيها هل هى من قبيل الأسماء المتواطئة أو من قبيل المشتركة فى اللفظ فقط ، والمحققون يعلمون أنها ليست خارجة عن جنس المتواطئة إذ واضع اللغة إنما وضع اللفظ بإزاء القدر المشترك - وإن كانت نوعاً مختصاً من المتواطئة فلا بأس بتخصيصها بلفظ

ومن علم أن المعية تضاف إلى كل نوع من أنواع المخلوقات كإضافة الربوبية مثلا وأن الاستواء على الشىء ليس إلا للعرش وأن الله يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط لا حقيقة ولا مجازاً علم القرآن على ما هو عليه من غير تحريف .

ثم من توهم أن كون الله فى السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب - إن نقله عن غيره ، وضال - إن اعتقده فى ربه ، وما سمعنا أحداً يفهمه من اللفظ ولا رأينا أحداً نقله عن واحد ولو سئل سائر المسلمين هل يفهمون من قول الله ورسوله (إن الله فى السماء) أن السماء تحويه لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول هذا شىء لعله لم يخطر ببالنا وإذا كان الأمر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئاً محالا لا يفهمه الناس منه ثم يريد أن يتأوله بل عند المسلمين (أن الله فى السماء) (وهو على العرش) واحد إذ السماء إنما يراد به العلو فالمعنى أن الله فى العلو لا فى السفل ، وقد علم المسلمون أن

كرسيه سبحانه وتعالى وسع السموات والأرض ، وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة وأن العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته فكيف يتوهم بعد هذا أن خلقا يحصره ويحويه ؟ وقد قال سبحانه (ولأصلبنكم في جذوع النخل) وقال ﴿ فسيروا في الأرض ﴾ بمعنى (على) ونحو ذلك وهو كلام عربي حقيقة لا مجازاً وهذا يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف وأنها متواطئة في الغالب لا مشتركة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « إذ قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه فلا يبصقن قبل وجهه » الحديث[1] حق على ظاهره وهو سبحانه فوق العرش وهو قبل وجه المصلي بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه وكانت أيضاً قبل وجهه وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل بذلك ولله المثل الأعلى ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا وإمكانه لا تشبيه الخالق بالمخلوق فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ما منكم من أحد إلا سيرى ربه مخلياً به » فقال له أبو رزين العقيلي كيف يا رسول الله وهو واحد ونحن جميع فقال النبي صلى الله عليه وسلم « سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله، هذا القمر كلكم يراه مخلياً به وهو آية من آيات الله فالله أكبر »[2] أو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وقال « إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر » فشبه الرؤية بالرؤية وإن لم يكن المرئي مشابها للمرئي فالمؤمنون إذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه كما يرى الشمس والقمر ولا منافاة أصلا .

ومن كان له نصيب من المعرفة بالله والرسوخ في العلم بالله يكون إقراره للكتاب والسنة على ما هما عليه أوكد .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه من حديث أنس في مواضع منها في باب حق البزاق الخ من كتاب الصلاة (٢) رواه أبو داود في باب الرؤية من كتاب شرح السنة في سننه من حديث أبي رزين العقيلي .

(واعلم) أن من المتأخرين من يقول : مذهب السلف إقرارها على ماجاءت به من اعتقادات ظاهرها غير مراد وهذا اللفظ مجمل فان قوله : ظاهرها غير مراد يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين مثل أن يراد بكون الله قبل وجه المصلى أنه مستقر فى الحائط الذى يصلى إليه ، وأن الله معنا ظاهر أنه إلى جانبنا ونحو ذلك فلا شك أن هذا غيرمراد ، ومن قال أن مذهب السلف إن هذا غير مراد فقد أصاب فى المعنى لكن الخطأ بإطلاق القول بأن هذا ظاهر الآيات والأحاديث فإن هذا المجال ليس هو الظاهر على ما قد بيناه فى غير هذا الموضع اللهم إلا أن يكون هذا المعنى الممتنع صار يظهر لبعض الناس فيكون القائل لذلك مصيبا بهذا الإعتبار ، معذورا فى هذا الإطلاق فإن الظهور والبطون قد يختلف بإختلاف أحوال الناس وهو من الأمور النسبية . وكان أحسن من هذا أن يبين لمن اعتقد أن [1] هذا هو الظاهر أن [2] هذا ليس هو الظاهر حتى يكون قد أعطى كلام الله وكلام رسوله حقه لفظاً ومعنى ، وإن كان الناقل عن السلف أراد بقوله : الظاهر غير مراد عندهم أن المعانى التى تظهر من هذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته ولا يختص بصفة المخلوقين بل هى واجبة لله أو جائزة عليه جوازاً ذهنياً أو جوازا خارجياً غير مراد فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف وتعمد الكذب فما يمكن أحداً قط أن ينقل عن واحد من السلف مايدل لا نصا ولا ظاهرا أنهم كانوا يعتقدون أن الله ليس فوق العرش ولا أن الله ليس له سمع وبصر ويد حقيقة وقد رأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف ويقولون إن طريقة أهل التأويل هى فى الحقيقة طريقة السلف بمعنى أن الفريقين اتفقوا على أن هذه الآيات والأحاديث لم تدل على صفات الله سبحانه وتعالى ولكن السلف سكتوا عن تأويلها والمتأخرون رأوا المصلحة فى تأويلها لمسيس الحاجة إلى ذلك ، ويقولون : الفرق أن هؤلاء قد يعينون

(١ ، ٢) إن الأولى مفعول أعتقد وأن الثانية مفعول يبين .

المراد بالتأويل وأولئك لا يعينون لجواز أن يراد غيره وهذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف ، أما فى كثير من الصفات فقطعاً مثل أن الله تعالى فوق العرش فإن من تأمل كلام السلف المنقول عنهم الذى لم يحك هنا عشره علم بالإضطرار أن القوم كانوا مصرحين بأن الله فوق العرش حقيقة،وأنهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط ، وكثير منهم قد صرح فى كثير من الصفات بمثل ذلك .

والله يعلم أنى بعد البحث التام ومطالعة ما أمكن من كلام السلف ما رأيت كلام أحد منهم يدل لانصاً ولا ظاهراً ولا بالقرائن على نفى الصفات الخبرية فى نفس الأمر بل الذى رأيته أن كثيراً من كلامهم يدل ـ إما نصاو إماظاهراً ـ على تقرير جنس هذه الصفات ولا أنقل عن كل واحد منهم إثبات كل صفة بل الذى رأيته أنهم يثبتون جنسها فى الجملة وما رأيت أحداً منهم نفاها و إنما ينفون التشبيه و ينكرون على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه مع إنكارهم على من ينفى الصفات أيضا كقول نعيم بن حماد الخزاعى شيخ البخارى : من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها .

وكانوا إذا رأوا الرجل قد أغرق فى نفى التشبيه من غير إثبات الصفات قالوا هذا جهمى معطل؛ وهذا كثير جدا فى كلامهم فإن الجهمية والمعتزلة إلى اليوم يسمون من أثبت شيئاً من الصفات مشبها كذبا منهم وافتراء حتى أن منهم من غلاورمى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك حتى قال ثمامة بن الأشرس[1] من رؤساء الجهمية

---

(١) أبو معن النميرى البصرى من كبار المعتزلة ومن رءوس الضلالة كان له اتصال بالرشيد ثم المأمون كل ذا نوادر وملح الخ ما ذكره الذهبى فى ترجمته فى الميزان قال ابن قتيبة كان ثمامة من رقة الدين وتنقيص الاسلام والاستهزاء به وإرسال لسانه على ما لا يكون على مثله رجل يعرف الله ويؤمن به الخ ما ذكره فى لسان الميزان وحقق أن وفاته كانت سنة ثلاثة عشر يعنى بعد المائتين من الهجرة .

ثلاثة من الأنبياء مشبهة موسى حيث قال (إن هى إلا فتنتك) وعيسى حيث قال (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك) ومحمد حيث قال « ينزل ربنا » وحتى أن جل المعتزله تدخل عامة الأئمة مثل مالك وأصحابه والثورى وأصحابه والأوزاعى وأصحابه والشافعى وأصحابه والثورى وأصحابه وإسحاق بن كاراهويه وأبى عبيد وغيرهم فى قسم المشبهة

وقد صنف أبو أسحاق إبراهيم بن عثمان بن درباس الشافعى [1] جزأ سماه (تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة) ذكر فيه كلام السلف وغيرهم فى معانى هذا الباب وذكر أن أهل البدع كل صنف منهم يلقب أهل السنة بلقب افتراه بزعم أنه صحيح على رأيه الفاسد كما أن المشركين كانوا يلقبون النبى صلى الله عليه وسلم بألقاب افتروها، فالروافض تسميهم نواصب، والقدرية يسمونهم مجبرة والمرجئة تسميهم شكاكا ، والجهمية تسميهم مشبهة ، وأهل الكلام يسمونهم حشوية ونوابت وغثاء وغثرا إلى أمثال ذلك كما كانت قريش تسمى النبى صلى الله عليه وسلم تارة مجنونا وتارة شاعراً وتارة كاهنا وتارة مفتريا ـ قالوا فهذا علامة الإرث الصحيح والمتابعة التامة قالوا فإن السنة هى ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه اعتقادا واقتصادا وقولا وعملا فكما أن المنحرفين عنه يسمونهم بأسماء مذمومة مكذوبة وأن اعتقدوا وصدقها بناء على عقيدتهم الفاسدة فكذلك التابعون له على بصيرة الذين هم أولى الناس به فى المحيا والممات باطنا . ظاهراً وأما الذين وافقوه ببواطنهم وعجزوا عن إقامة الظواهر ، والذين وافقوه بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن ، أو الذين وافقوه ظاهرا وباطنا بحسب الإمكان فلابد للمنحرفين عن سنته أن يعتقدوا فيهم نقصا يذمونهم به ويسمونهم بأسماء مكذوبة وإن اعتقدوا وصدقها كقول الرافضى من لم

---

(١) ترجمة عثمان بن عيسى بن درباس الشافعى فى ابن خلكان وشذرات الذهب توفى بعد الستمائة فالذى هنا إما ولده إن لم يكن تحريفا .

يبغض أبا بكر رضى الله عنه وعمر فقد أبغض عليا لأنه لا ولاية لعلى إلا بالبراءة منهما ثم يجعل من أحب أبا بكر وعمر ناصبياً بناء عن هذه الملازمة الباطلة التى أعتقدها صحيحة أو عائد فيها وهو الغالب .

وكقول القدرية من أعتقد أن الله أراد الكائنات وخلق أفعال العباد فقد سلب من العباد الإختيار والقدرة وجعلهم مجبورين كالجمادات التى لا إرادة لها ولا قدرة

وكقول الجهمى من قال أن الله فوق العرش فقد زعم أنه محصور وأنه جسم مركب محدود وأنه مشابه لخلقه وكقول الجهمية المعتزلة من قال أن لله علما وقدرة فقد زعم أنه جسم مركب وأنه مشبه لأن هذه الصفات أعراض والعرض لا يقوم إلا بجوهر متحيز ، وكل متحيز جسم مركب أو جوهر فرد ومن قال ذلك فهو مشبه لأن الأجسام متماثلة :

ومن حكى عن الناس المقالات وسماهم بهذه الأسماء المكذوبة بناء على عقيدتهم التى هم مخالفون لهم فيها فهو وربه والله من ورائه بالمرصاد ولا يحيق المكر السىء إلا بأهله

وجماع الأمر أن الأقسام الممكنة فى آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة (قسمان) يقولون تجرى على ظواهرها (وقسمان) يقولون هى على خلاف ظاهرها (وقسمان) يسكتون .

أما الأولون فقسمان (أحدهما) من يجريها على ظاهرها و يجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين فهؤلاء المشبهة ومذهبهم باطل أنكره السلف ، و إليه توجه الرد بالحق (الثانى) من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله كما يجرى ظاهر اسم العليم والقدير والرب والاله والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله فإن ظواهر هذه الصفات فى حق المخلوق إما جوهر محدث و إما عرض قائم به ، فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضاء والغضب ونحو ذلك فى حق العبد أعراض ؛ والوجه واليد والعين فى حقه أجسام فإذا كان الله

موصوفا عند عامة أهل الاثبات بأن له علما وقدره وكلاما ومشيئة وإن لم يكن ذلك عرضا يجوز عليه مايجوز على صفات المخلوقين جاز أن يكون وجه الله ويداه صفات ليست أجساما مايجوز عليها مايجوز على صفات المخلوقين وهذا هو المذهب الذى حكاه الخطابى وغيره عن السلف ،وعليه يدل كلام جمهورهم وكلام الباقين لا يخالفه وهو أمر واضح فإن الصفات كالذات فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات فمن قال :لا أعقل علما و يدا إلا من جنس العلم واليد المعهودتين قيل له . فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات[1] المخلوقين ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته و تلائم حقيقته فمن لم يفهم من صفات الرب الذى ليس كمثله شيء إلا ما يناسب المخلوق فقد ضل فى عقله ودينه .

وما أحسن ماقال بعضهم إذا قال لك الجهمى كيف استوى أو كيف ينزل إلى سماء الدنيا أو كيف يداه ونحو ذلك فقل له كيف هو فى نفسه فإذا قال لك لا يعلم ما هو إلا هو وكنه البارى تعالى غير معلوم للبشر فقل له فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف فكيف يمكن أن تعلم كيفية صفة لموصوف لم تعلم كيفيته و إنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذى ينبغى لك .

بل هذه المخلوقات فى الجنة قد ثبت عن ابن عباس أنه قال: ليس فى الدنيا مما فى الجنة[2] إلا الأسماء،وقد أخبر الله تعالى أنه لاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن فى الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فإذا كان نعيم الجنة وهو خلق من خلق الله كذلك فما الظن بالخالق سبحانه وتعالى وهذه الروح التى فى بنى آدم قد علم العاقل إضطراب الناس فيها و إمساك النصوص عن بيان كيفيتها أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام فى كيفية الله تعالى مع أنا نقطع

---

(١) ن : صفات .

(٢) ن : الآخرة .

بأن الروح فى البدن وأنها تخرج منه وتعرج إلى السماء وأنها تسل منه وقت النزع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة لا نغالى فى تجريدها غلو المتفلسفة ومن وافقهم حيث نفوا عنها الصعود والنزول والاتصال بالبدن والانفصال عنه وتخبطوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته فعدم مماثلتها للبدن لا ينفى أن تكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها إلا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص فيكونوا قد أخطئوا فى اللفظ وأنى لهم بذلك .

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها أعنى الذين يقولون : ليس لها فى الباطن مدلول هو صفة الله تعالى قط وأن الله لا صفة له ثبوتيه بل صفاته إما سلبية و إما إضافية وإما مركبة منهما أو يثبتون بعض الصفات وهى الصفات السبعة أو الثمانية أو الخمسة عشر أو يثبتون الأحوال دون الصفات على ما قد عرف من مذاهب المتكلمين فهؤلاء قسمان قسم يتأولونها و يعينون المراد مثل قولهم استوى بمعنى استولى أو بمعنى علو المكانة والقدر أو بمعنى ظهور نوره للعرش أو بمعنى إنتهاء الخلق إليه إلى غير ذلك من معانى المتكلمين وقسم يقولون : الله أعلم بما أراد بها لكنا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية عما علمناه .

وأما القسمان الواقفان فقسم يقولون يجوز أن يكون ظاهر المراد اللائق بجلال الله و يجوز بأن لا يكون المراد صفة الله ونحو ذلك وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم وقوم يمسكون عن هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات فهذه الأقسام الستة كلها لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها .

والصواب فى كثير من آيات الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة الثابتة كالآيات والأحاديث الدالة على أن الله سبحانه وتعالى فوق عرشه و يعلم طريقة الصواب فى هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والإجماع على ذلك دلالة

لا تحتمل النقيض وفى بعضها قد يغلب على الظن ذلك مع احتمال النقيض وتردد المؤمن فى ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم والإيمان ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره فليدع بما رواه مسلم فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام يصلى من الليل قال « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون أهدنى لما أختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم »وفى رواية لأبى داود أنه يكبر فى صلاته ثم يقول ذلك ، فإذا أفتقر العبد إلى الله ودعاه ، وأدمن النظر فى كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين انفتح له طريق الهدى ثم إن كان قد خبر نهايات أقدام المتفلسفة والمتكلمين فى هذا الباب وعرف غالب ما يزعمونه برهانا وهو شبهة ورأى أن غالب ما يعتمدونه يؤول إلى دعوى لا حقيقة ، لها أو شبهة مركبة من قياس فاسد ، أو قضية كلية لا تصح إلا جزئية ، أو دعوى إجماع لا حقيقة له ، أو التمسك فى المذهب والدليل بالالفاظ المشتركة ثم إن ذلك إذا ركب بالفاظ كثيرة طويلة غريبة عمن لم يعرف اصطلاحهم أوهمت الغر ما يوهمه السراب للعطشان ثم ازداد إيمانا وعلما بما جاء به الكتاب والسنة فإن ﴿ الضد يظهر حسنه الضد ﴾ وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد تعظيما و بقدره أعرف فأما المتوسطون[1] من المتكلمين فيخاف عليهم[2] ما لا يخاف على من لم يدخل فيه وعلى من قد أنهاه نهايته فإن من لم يدخل فيه فهو فى عافية ومن أنهاه فقد عرف الغاية فما بقى يخاف من شىء آخر فإذا ظهر له الحق وهو عطشان اليه قبله وأما المتوسط فيتوهم بما يتلقاه من المقالات المأخوذة تقليداً لمعظمة هؤلاء وقد قال بعض الناس أكثر ما يفسد الدنيا نصف

---

(١) ن : المتوسط .

(٢) ن : عليه .

متكلم ونصف متفقه ونصف متطبب ونصف نحوى ، هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد البلدان ، وهذا يفسد الأبدان ، وهذا يفسد اللسان .

ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم فى الغالب (فى قول مختلف يؤفك عنه من أفك) يعلم الذكى منهم والعاقل أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة وأن حجته ليست ببينة وإنما هى كما قيل فيها :

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقا وكل كاسر مكسور

ويعلم العليم البصير بهم أنهم من وجه مستحقون ما قاله الشافعى رضى الله عنه حيث قال : حكمى فى أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم فى القبائل والعشائر ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام . ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر ؛ والحيرة مستولية عليهم ، والشيطان مستحوذ عليهم رحمتهم ورققت عليهم . أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاءاً[1] أعطوا فهوماً وما أعطوا علوما ، وأعطوا سمعا وأبصارا ، أفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شىء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون . ومن كان عليما بهذه الأمور تبين له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه وذموا أهله وعابوهم وعلم أن من ابتغى الهدى فى غير الكتاب والسنة لم يزدد إلا بعداً فنسأل الله العظيم أن يهدينا صراطه المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين .

---

(١) ذكاء الأولى بالذال المعجمة بمعنى توقد الفهم وزكاء الثانية بالزاى بمعنى الطهارة والبركة .

تمت بحمد الله تعالى « الفتوى الحموية » ويليها « الرسالة المدنية »
فى تحقيق (المجاز والحقيقة فى صفات الله تعالى)

فهرست

الفتوى الحموية الكبرى

صحيفة